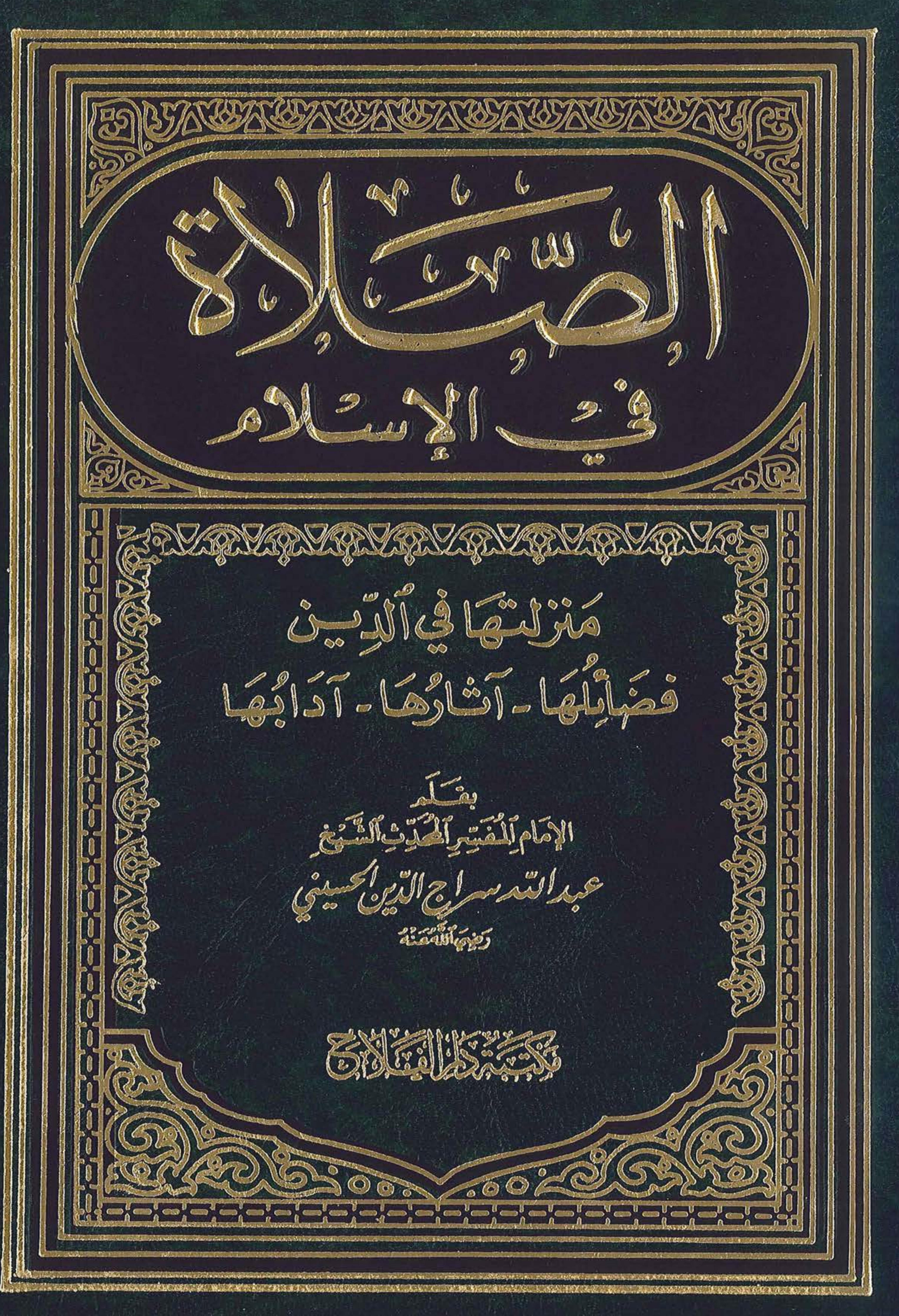
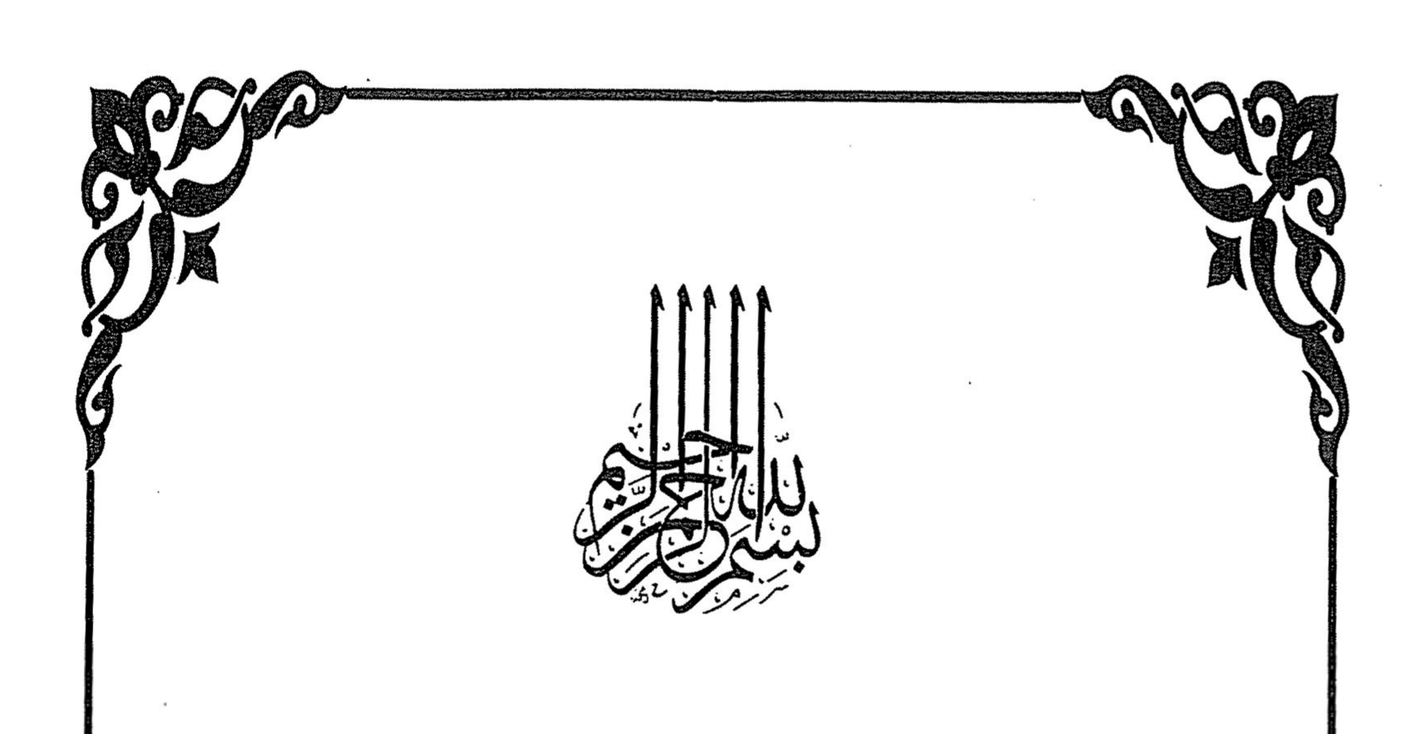
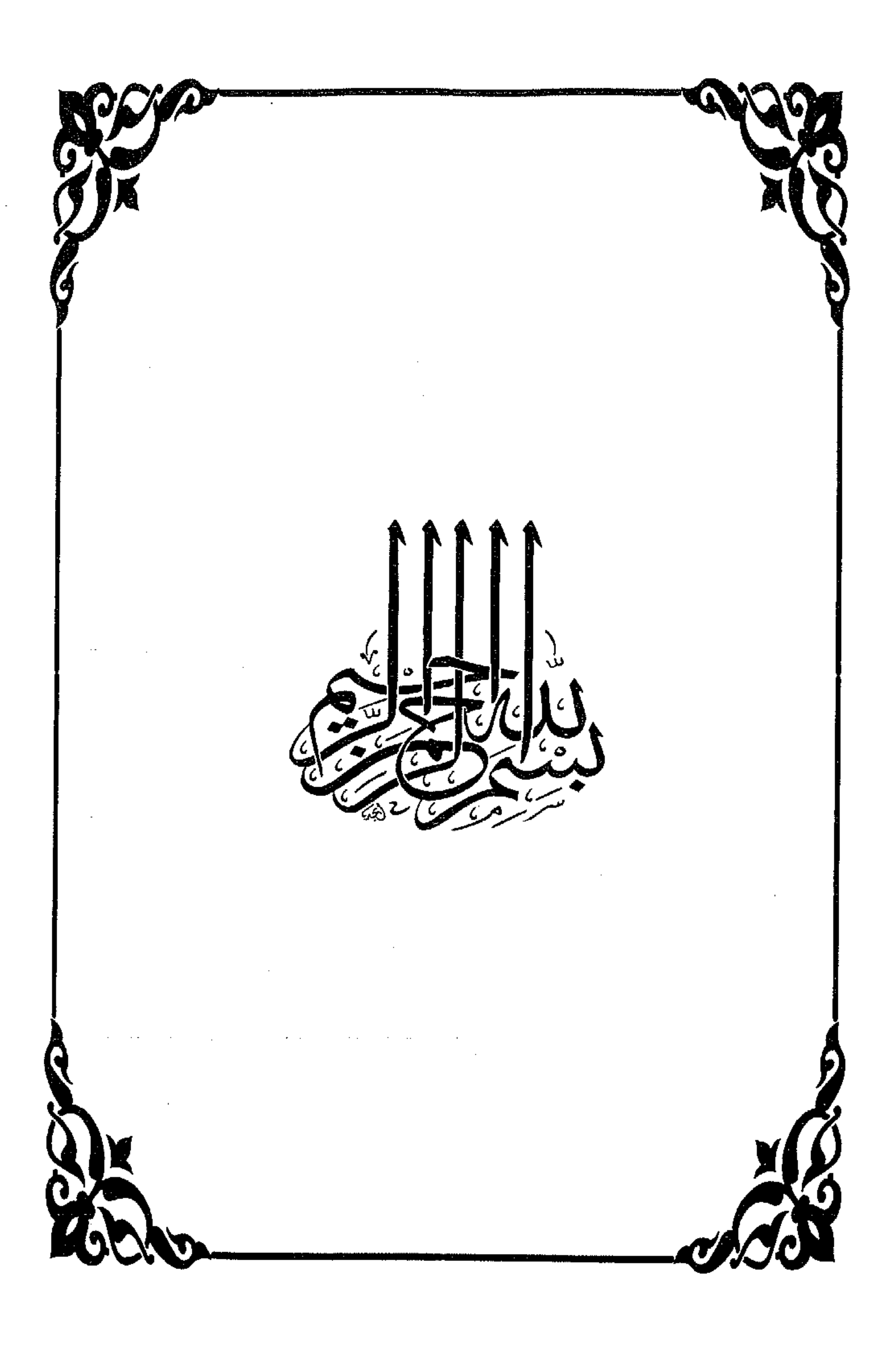

الصلاة
في الإسلام
منزلتها في الدين
فضائلها - آثارها - آدابها
بقلم
الإمام المفسر المحدث الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
رحمه الله تعالى
مكتبة دار الفلاح



أيّها القارئ الكريم :

اقرأ سورة الفاتحة كلّما قرأت في كتاب من كتبي ، وأهدِ ثوابها إلى العلّامة الشهير ، والعارف الكبير ، حامل لواء الحجة بالكتاب والسّنّة ، المفسّر والمحدّث بالأسانيد المتصلة ، عن كبار المحدّثين - في حلب ودمشق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية - بإجازات عالية الأسانيد - محفوظة عندي - سيّدي وشيخي ووالدي الكريم ، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني رحمه الله تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيرًا ، إنّه هو السميع العليم .

آمين


بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة
في الإسلام
منزلتها في الدين
فضائلها - آثارها - آدابها

بقلم
العلامة الكبير والعارف الشهير
الإمام المفسر المحدث الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
رضي الله تعالى عنه

يطلب من
مكتبة دار الفلاح

الطبعة الخامسة

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

مؤسسة

الشام للطباعة والتجليد

دمشق - هاتف: ٢٢٢٤٥٢٢ - ٢٢٤٩١٤٣ ص.ب ٢٥١٨٩

E-mail: oakkad@mail.sy

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم الأولين والآخرين على رب العالمين ، سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد : فإنَّ الله تعالى شرع لعباده الشريعة ، وأمرهم أن يعبدوه على منهاجها ، وأن يسيروا على صِراطها ، لِتزكوَ نفوسهم ، وتستقيم عقولهم ، وتستنير قلوبهم ، وليرتقوا بعباداتهم من حضيض البهيمية الحيوانية ؛ إلى مستوى المَلكوتية الربَّانية ، وشَتَّانَ بين الرتبتين لهذين الإنسانَيْنِ : الإنسان الإيماني الرباني الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ والإنسان الأرضي الحيواني الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ... ﴾ الآية .

وإنَّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد بَيَّنَتْ بياناً كافياً كاشفاً عن آثار العبادات في النفوس والعقول والقلوب ، والأرواح والأشباح ، كما بينت فضائلها المرتبة عليها في الدنيا والآخرة ـ كما سنبينه إن شاء الله تعالى ـ وذلك ليسلك الإنسان طريق العبادة على نشاط ومحبة وتشوق منه لمعالي الدرجات ، ومعاني الكمالات ، راغباً في نتائج الأعمال الصالحة وحسن عواقبها ، راهباً من مَغَبَّات الأعمال السيئة وسوء غاياتها .

فحقيق بالعابدين أن يعتنقوا عبادة الله تعالى حباً فيه ، وتقرباً إليه وتعزُّزاً بجنابه ، وانبساطاً في رحابه ، يبتغون وجه الله تعالى ورضوانه ، وغفرانه وإحسانه . قال تعالى : ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ... ﴾ الآية .

وإنَّ أهمَّ العبادات وأجمعها : الصلاة ، فإنها تشتمل على العبادات القلبية : من النية والإخلاص والخشوع والخضوع لله تعالى ، ومراقبة جلاله وعظمته ، إلى ما وراء ذلك مما يأتي بيانه . وتشتمل على العبادات اللسانية من : التكبير والتسبيح والتحميد ، وتلاوة القرآن الكريم ، إلى ما هنالك ، وتشتمل على العبادات البدنية من : قيام المصلي مناجياً له تعالى ، وإقباله عليه متوجهاً ، ماثلاً مُطرقاً أمام عِزَّة الربوبية ، ثم منحنياً راكعاً ، ثم خُرُوْرُهُ ساجداً على الأرض بوجهه وأمَّهات أعضائه .

فينبغي للمسلم أن يعرف أهمية الصلاة ، وفضائلها ، وتكييفاتها التي تنصبغ بها القلوب والنفوس والأجسام ، وأن يعرف ما يترتب على الصلاة من أسرار وأنوار وآثار ، تظهر على المصلي في الدنيا ؛ وفي عوالم الآخرة . كما سيتضح إن شاء الله تعالى .

وسوف يَعْقُبُ هذا الكتاب كتاب آخر يُبحَث فيه عن تفاصيل أحكام الصلاة ، مُبيِّنَةَ الأركان والشروط والواجبات والسنن والآداب ، وما يتبع ذلك من بقية الأحكام مع أدلَّتِها ؛ إن شاء الله تعالى .

* * *

مقدمة في مشروعية العبادات

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ فقد بَيَّن الله تعالى أنه أمر بعبادته سبحانه في جميع الشرائع الإلهية، التي أوحاها إلى جميع رسله صلوات الله عليهم .

والعبادة هي : التقرب إلى الله تعالى بأقصى غايات الخضوع ، والتذلل له فيما شرعه لعباده من الأقوال والأعمال القلبية والبدنية والمالية .

وقد نبَّه الله تعالى إلى الأسباب الموجبة على العباد أن يعبدوه سبحانه :

أولاً ـ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ .

فَبَيَّنَ سبحانه أن العبادة حق الله على عباده ، لأنّه هو الرب الخالق وحده ، المربي عباده بأنواع التربية ، بأصناف نعمه عليهم ، فقد أنعم عليهم بالإيجاد ، ثم الإمداد بما أسبغه عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ، النفسية والآفاقية . كما هو ثابت لديهم ومشهود عندهم في أنفسهم وفي السماء والأرض وما بينهما .

وإلى هذا يرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم العقلاء والحكماءَ حيث يقول ، كما جاء في (الصحيحين) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : كنت رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أي : راكباً خلفه - لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلاَّ مُؤخِّرَةُ الرَّحْلِ .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « يَا مُعَاذُ بن جَبَل » .

قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً .

ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ بن جَبَل » .

قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً .

ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَل » .

قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ .

قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ » ؟

قال : قُلْتُ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَم .

قَالَ : « فإنَّ حَقَّ الله عَلَى العبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » .

ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ » .

قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ .

قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذلك » ؟.

قُلْتُ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ » .

فلله تعالى حقٌ ذاتي على عباده أن يعبدوه ، بحكم أنه سبحانه هو ربهم وهم عباده . ومنه الحق التفضُّلي عليهم إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئاً : أَنْ لا يعذبهم .

ثانياًـ إنَّ الله تعالى شرع العبادة لينصبغ العبد العابد بمحاسن الكمال والجمال ، والنور الإلّهي ، قال تعالى :﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ والمعنى : الزموا صبغة الله تعالى ، وهي : عبادته كما شرع لكم ، فإنها صبغة كمال ، ونور الإلّهي للعبد يستنير بها قلبه وعقله ، وسمعه وبصره ووجهه .

قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ومن انصبغ بهذه الصبغة الإلّهية سَعِدَ سعادة الأبد ، لأنها لا تُمحى أبداً .

فالعبادة فيها تكميل النفوس ، وترقيتها في الدرجات العالية والمقامات السامية .

قال الله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

فكل عمل له أثره في عامله وصبغة فيه ، فآثار الطاعات أنوار ، وآثار المخالفات ظلمات .

كما أن كل عمل مُرِّنَتْ عليه النفس فإنها تتكيّف بموجبه وتنفعل بمقتضاه ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة . وتفصيل هذا يتضح في غير هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ثالثاً ـ إنَّ الله تعالى أمر العباد أن يعبدوه سبحانه ليتشرفوا بعبادته ، ويتعززوا بمحبته سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ فبيَّن سبحانه أنه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ، لأنَّ في عبادتهم له شرفهم وكرامتهم ، ينالون بذلك حُبَّهُ وقُرْبَه ، وتلك هي بغية أُولي الهمم العالية ،كما قال تعالى فيهم : ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ .

وجاء في الحديث القدسي ، عن كلامه النفسي جلَّ وعلا قال : « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُه عَلَيْهِ ،وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ... » الحديث .

فعبادة الله تعالى تَقَرُّبٌ إلى رحابه ، وتَعزّز بجنابه .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ تنبيه ـ كما قال المحققون ـ إلى أنَّ كل ما أُوْجِدَ لفعل فمتى لَمْ يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم ،ولذلك كثيراً ما يُسلب عن الشيء اسمه إذا وُجِد فعله ناقصاً ، كقولهم للفرس البطيء : ليس بفرس ، وللإنسان الرديء : ليس بإنسان .

فالإنسان يُحصِّل من الإنسانية بقدر ما يَحصل له من العبادة التي خُلِقَ لأجلها ، فَمَن قام بالعبادة حَقَّ القيام فقد استكمل الإنسانية ،

ومن تركها فقد انسلخ من الإنسانية الكاملة الحقيقية ، وصار إنساناً صوريّاً ، كما قال تعالى في وصف الكفار : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ .

رابعاً ـ شرع الله تعالى العبادة لِيَعْلُوَ بها مقام الإنسان ، ويرتفع مستواه ، ويرتقي الدرجات العُلَى ، قال الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي : لم يتحقق بأوامر الآيات ، ولم يَثْبُتْ عليها ، بل نزعها وانسلخ منها ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ الضالين الراسخين في الغواية ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أي لو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار بسبب تلك الآيات والعمل بما فيها ﴿ وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ .. ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ فالأعمال الصالحة المَبْنِيَّةُ على الإيمان الصحيح ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى ، قال تعالى :﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ الآية ، وفيها إرشاد العباد إلى طريق نيل العزة والكرامة ، وأنَّ من أراد ذلك فليطلبها من مصدرها الذاتي الذي له العزة المطلقة الأزلية الأبدية ، التي لا تبيد ولا تفنى ، وهو الله العزيز الحميد . وطريق نيلها والحصول عليها هي : الكَلِمُ الطيِّبُ والعمل الصالح .

أما **الكلم الطيب** فهو ما أثمرته الكلمة الطيبة لا إلـٰه إلا الله مِنْ تلاوة القرآن الكريم ، ومن التسبيح والتحميد ، والتكبير والتهليل ، والاستغفار ، ونحو ذلك من الأذكار الإلـٰهية والدعوات .

وأما **العمل الصالح** فهو ما يَصْلح لأن يُعرض به العبد على ربه ، وأن يلقى به ربه وهو عنه راضٍ .

قال سبحانه : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلعَرْضِ الأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾».

كما أنَّ العمل الصالح يَصلح لأن يُعرض على الله تعالى ويرتضيه من صاحبه ، وذلك بأن يكون العمل متابعاً لما شرعه الله تعالى ، على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يكون خالصاً لله تعالى .

وقد دلَّتْ هذه الآية :﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ على شرف منزلة الكلم الطيب والعمل الصالح ، وعزَّة منزلتهما ، وأنهما لجديران بِرِفعة مقامهما ، بأن يصعد الكلم الطيب إليه سبحانه ، والعمل الصالح يرفعه ، كما سيتضح ذلك قريباً .

وموضع الاعتبار في ذلك : أنه إذا كان الكلم الطيب والعمل الصالح بهذه المنزلة من الشرف والعزة والكرامة ؛ فجدير بمن تمسَّك بهما أن يعلوَ بهما ويَشْرف ، وينال المقام الأكمل والدرجات العلى ، معتزاً بالله تعالى ، مكرماً بقربه .

وأيضاً إذا كان الكلم الطيب والعمل الصالح الصادران عن هذا المؤمن الطيب ؛ في هذه المنزلة من العزَّة والرِّفعة ، فما ظنُّك بنفس المؤمن الذي صدر عنه ذلك الكلم الطيب والعمل الصالح ؟!! وماذا تتصوَّر من رِفعة مقامه وعزة كرامته عند رب العالمين ، ذي العزة والجبروت ، والملك والملكوت ؟!!.

نعم إنَّ ذلك لا يَعلم حقيقته إلا الله تعالى ، كما جاء في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ الله تعالى قال : أَعْدَدتُ لِعبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » ثم قرأ :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

أما صعود الكلم الطيب : فالكلم الطيب يصعد إلى الله تعالى ، ويُحيَّى به ربُّ العزَّة ، ويتعاطف الكلم الطيب بعضه إلى بعض ، تُذَكِّرُ بصاحبها ، ويشفعن به عند رب العالمين ، كما ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ الله : التَسْبِيْحَ وَالتَهْلِيْلَ والتَحْمَيد ؛ يَنْعَطِفْنَ ـ أي : يجتمعن ـ حَوْلَ العَرْشِ ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ؛ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا ، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ـ أو لاَ يَزَالُ ـ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ »[1] .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه ابن أبي الدنيا وابن ماجه ـ واللفظ له ـ والحاكم . وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

والذي يصعد بالكلم الطيب هو الملَك بأمر الله تعالى ، كما روى الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى ، إنَّ العبد إذا قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر ، وتبارك الله ، قَبَضَ عليهنَّ ملك ، فضمَّهنَّ تحت جناحه ، وصعد بهنَّ ، لا يمرُّ بهنَّ على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يُحَيَّىٰ بهنَّ وجه الرحمن . ثم تلا ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ، إذ جاءه رجل قد حفزه النَّفَس فقال : الله أكبر ، الحمد لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة قال : « أَيُّكُمْ المتَكَلِّمُ بِالكَلِمَات » ؟.

فَأَرَمَّ ـ أي : سكت ـ القوم .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسَاً » .

فقال الرجل : أَنَا يَا رَسُولَ الله .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا » رواه مسلم .

---

(١) قال الحافظ المنذري : كذا في نسختي : يُحَيَّى بالحاء المهملة وتشديد المثناة تحت ، ورواه الطبراني فقال : حتى يجيء بالجيم ، ولعله الصواب اهـ .

وروى مسلم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، إذْ قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْم : الله أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلا .

فَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « مَنِ الْقَائِلُ الكَلِمَةَ كَذَا وكَذَا » ؟

فَقَالَ الرَجُل : أَنَا يَا رَسُولَ الله .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : «عَجِبْتُ لَهَا ، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ».

وفي رواية النسائي : « لَقَدْ رَأَيْتُ ابْتَدَرَهَا اثنَا عَشَرَ مَلَكاً » .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : فما تركتهنَّ منذ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك .

أما رفع الأعمال الصالحة فهو على مراتب : رفع نهاريٌّ ، ورفع ليليٌّ .

كما ورد في (صحيح) مسلم ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَات فَقَالَ : « إِنَّ الله تَعَالى لاَ يَنَامُ ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » .

وهناك رفع للأعمال في كل يوم خميس واثنين ، للعرض على الله تعالى ، روى مسلم والترمذي ، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تُعْرَضُ الأَعْمَالُ على الله فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ ، فَيَغْفِرُ الله تعالى لِكُلِّ امْرِئٍ لاَ يُشْرِكُ بِالله

شَيْئًا ، إِلاَّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيَقُولُ الله تعالى: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » .

وروى الحكيم الترمذي بإسناده ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الاثْنَينِ والخَمِيْس عَلَى الله تَعَالى ، وَتُعْرَضُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَعَلَى الآبَاءِ والأُمَّهَات يَومَ الجُمُعَة ، فَيَفْرَحُونَ بِحَسَنَاتِهم ، وَتَزْدَادُ وجُوهُهُم بَيَاضاً وإِشْرَاقاً فَاتَّقُوا الله ولاَ تُؤْذُوا مَوْتَاكُمْ » .

وأخرج أحمد بسند جَيِّد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيْسٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ ، فَلاَ يَقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ » .

وبهذه المناسبة نذكر ما ورد في عرض الأعمال على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما ورد في عرضها على الأقرباء والعشيرة في عالم البرزخ .

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

فقد استدل كثير من العلماء المتقدمين بهذه الآية على أنَّ الأعمال تُعرض على الله تعالى ، وتُعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتُعرض على المؤمنين من الأقرباء والعشيرة ، وهذا العرض هو الآن قبل يوم القيامة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ الآية[1] .

---

(١) انظر تفسير القرطبي ، وابن كثير ، و(الدر المنثور) حول هذه الآية الكريمة .

وهذا أمر حَقٌّ لا ينبغي لمؤمن أن يرتاب فيه بعد ما ثبت في الكتاب ، وَبَيَّنَتْهُ الأحاديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فتقدمت الأحاديث في عرض الأعمال على الله تعالى .

وأما العرض على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

فقد روى البزار بإسناد حسن ـ كما نبه على ذلك الحافظان العراقي وابن حجر ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ ، وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدتُ الله ، وَمَا رَأَيْتُ غَيْرَ ذَلِكَ اسْتَغْفَرتُ لَكُم »[(١)] .

وفي تفسير القرطبي بالسند ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : ليس من يوم إلا تُعْرض فيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته غُدوةً وعشيةً ، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم ، يقول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ . وقد نقل ذلك أيضاً ابن كثير في تفسيره عن (تذكرة) القرطبي .

وأما عرض الأعمال على الأقارب والعشيرة :

فقد روى أبو داود الطيالسي ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ أَعمَالَكُم تُعْرَضُ عَلَى

---

(١) قال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح اهـ . ورواه ابن سعد مرسلاً بسند حسن .

أَقَارِبِكُم وَعَشَائِرِكُم في قُبُورِهِم ،فإِنْ كَانَ خيراً استَبْشَرُوا به ، وإِنْ كَانَ غَيرَ ذَلِكَ قالوا : اللهم أَلْهِمْهم أنْ يَعملُوا بِطَاعَتِكَ » .

وروى الإمام أحمد ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ أَعمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُم وَعَشَائِرِكُم مِنَ الأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً استَبشَروا به ، وإِنْ كَانَ غَيرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللهم لاَ تُمِتْهُم حَتَى تَهْدِيَهُم كَمَا هَدَيْتَنَا » .

وفي البخاري ، قالت عائشة رضي الله عنها : إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم فقل : ﴿ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وهناك رفع للأعمال الصالحة فوريٌّ ـ أي : وقت ما عُمِلَ ـ :

روى ابن ماجه ،وابن حبان في (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثَلاَثَةٌ لاَ تَرتَفِعُ صَلاَتُهُم فَوْقَ رُؤوسِهِم شبراً : رَجُلٌ أَمَّ قَومَاً وَهُم لَهُ كَارِهُونَ ، وامرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ ، وَأَخَوانِ مُتَصَارِمَان » أي : متقاطعان .

وروى الترمذي ، وأحمد ، عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر ، وقال : « إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِيْ فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ » .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ ـ أي : بعد الزوال ـ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيْمٌ : تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ » رواه أبو داود .

ورواه الطبراني ولفظه : عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليَّ ـ أي : حين هجرته إلى المدينة ـ رأيته يُديم أربعاً قبل الظهر ـ أي : قبل فريضة الظهر ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَلاَ يُغْلَقُ مِنْهَا بَاب حَتَى تُصلَّى الظُهْرُ ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِي تِلكَ السَّاعةِ خَيرٌ » .

الباب الذي يصعد منه عمل المؤمن يبكي عليه إذا مات :

قال الله تعالى في الكفار بعد هلاكهم : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ .

روى الترمذي ، وأبو يعلى ، وأبو نعيم ، وغيرهم ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا مِنْ عَبْدٍ إلاَّ وَلَهُ في السَّمَاءِ بَابَانِ : بَابٌ يَصْعَدُ مِنهُ عَمَلُه ، وبَابٌ يَنْزِلُ عَلَيْه مِنْهُ رِزقُهُ ، فَإِذَا مَاتَ فَقَدَاه ، وَبَكَيَا عَلَيه » وتلا هذه الآية : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ أي : فما بكت السماء والأرض على موت الكافر ، بل إنما تبكي الأرض لموت المؤمن ، لأنه كان يَعمل صالحاً عليها ، وتبكي عليه السماء لأنه كان يصعد له فيها عمل صالح .

وروى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وغيرهما ، عن علي رضي الله عنه أنه قال : إنَّ المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلاَّهُ من الأرض ، وَمَصعد عمله من السماء ، ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ﴾ أي : الكفار ﴿ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ الآية .

الصلاة مشروعة في جميع الشرائع الإلّهية

الصلاة ركن أساسي في جميع الأديان السماوية ، فرضها الله تعالى في جميع الشرائع الإلّهية، ولكنها تختلف من حيث كيفياتها وكمياتها باختلاف الشرائع ، فقد كان عدد الصلوات المفروضة على بني إسرائيل خمسين صلاة ، أما في شريعتنا فهي خمس ولها أجر الخمسين .

وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنه أوحى إلى جميع الرسل بإقام الصلاة ، وبَيَّن اهتمام رسله بأمر الصلاة ، والتزامهم لها وإلزامهم بها ، فقال سبحانه إخباراً عن خليله إبراهيم وابنه وحفيده ؛ وعن لوط عليه السلام : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ .

كما أخبر سبحانه عن إسماعيل عليه السلام فقال : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ... ﴾ الآية ، يعني : أنه كان مؤتمراً وملازماً للصلاة ، وكان يأمر أهله بها .

وقال تعالى إخباراً عن الخليل عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن

﴿ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية إلى قوله سبحانه : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

فأخبر سبحانه عن خليله أنه ما أسكن ذريته بوادٍ لا زرع فيه عند البيت المحرم ؛ إلا لأجل أن يقيموا الصلاة ، وأنه دعا ملحّاً في الدعاء أن يجعله الله تعالى مقيم الصلاة ، ومن ذريته مِنْ بعدهُ مقيمي الصلاة .

كما أخبر سبحانه عن قوم شعيب عليه السلام أنهم كانوا يسخرون من صلاة شعيب عليه السلام وملازمته لها بقوله : ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ الآية .

كما أخبر سبحانه عن نجيِّه موسى عليه وعلى نبينا السلام قال له : ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ وخص الصلاة بالذكر مع أنها داخلة بقوله : ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾ لأنها أهم العبادات وأجمعها .

وقال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وقال تعالى مثنياً على عبده زكريا عليه السلام بالصلاة ، وأنه حين نادته الملائكة بالبشارة كان على أكمل الأحوال وهي حالة الصلاة ، قال تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ...﴾ الآية .

وقال تعالى مُخبراً عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ .

فما خلت شريعة من الشرائع الإلٓهية عن فريضة الصلاة .

روى الترمذي ، عن الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ الله تبارك وتعالى أَمَرَ يَحْيَى ابْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا .

وَأَنَّهُ ـ يحيى ـ كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا ، فَقَالَ عِيسَى عليه السلام : إِنَّ الله أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ .

فَقَالَ يَحْيَى عليه السلام : أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ .

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوْا عَلَى الشُّرَفِ .

فَقَالَ يحيى : إِنَّ الله تعالى أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَن آمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ :

أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بالله : كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِه بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ ، وَقَالَ : هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي ، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ ، فَكَانَ ـ أي : العبد ـ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ؟!!.

وَإِنَّ الله أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا ، فَإِنَّ الله يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ... » الحديث ، قَالَ الترمذي : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

* * *

معاني الصلاة ومشتقاتها اللغوية

ذكر العلماء في سبب تسمية الصلاة بهذا الاسم وجوهاً ، وجميع ذلك متلازم :

أحدها : أنها مشتقة من التصلية وهي التقويم . من قولهم : صلَيت العود بالنار . أي : قوَّمته . فكأنها تُقَوِّمُ العبد المصلي عما كان فيه من الاعوجاج بالمخالطة .

وثانيها : أنَّ الصلاة مأخوذة من الصِّلة ، لأنَّ في الصلاة صِلَة العبد بربه ، إذ بفعلها يَتَّصل العبد بربه ، وبتركها ينقطع ، كما ثبت في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ » .

ثالثها : أنَّ الصلاة سُميت بذلك لأنها يَصِلُ العبد بها إلى الجنة ، كما رُوي عن علي رضي الله عنه قال : هل ترون لِمَ سميت الصلاة صلاةً ؟

قالوا : لا ياأمير المؤمنين .

قال : لأن العبد يصل بها إلى الجنة .

رابعها : أنَّ الصلاة سميت بذلك لأن العبد إذا قام يصلي استقبل وجه الله تبارك وتعالى ، كما صح في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لاَ يَتْفلُ أَحَدُكُم قِبَلَ وَجْهِهِ ـ أي : في الصلاة ـ فَإِنَّ الله قِبَلَ وَجْهِهِ » .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه أنه قال : الصلاة سميت بذلك لاستقبال العبد بوجهه وجه الله تعالى .

خامسها : أن الصلاة سميت بذلك لمواصلة الله العبد بتعهده بنعمه عند التزامه فعل الصلاة ، قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ الآية[1] .

الصلاة أهم الفرائض العملية

إنَّ أعظم الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده الصلاة ، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم فيما يزيد على مائة موضع ؛ ما بين أمرٍ بها ، وثناءٍ على مقيميها ، والتعنيف لتاركيها .

وهذا يدل على عِظَمِ أهميتها ، وقوة منزلتها في دين الله تعالى وشدة اعتبارها عند الله تعالى ، وَمِنْ ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي : فيسألكم عن ذلك .

وقال تعالى : ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقال تعالى في الثناء على مقيمي الصلاة : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ .

---

(١) انظر جميع ما ورد في (مراصد الصلاة) للقسطلاني .

وَلَمَّا ذكر سبحانه أعمال البر التي تُؤهل صاحبها للخلود في الفردوس ، افتتح تلك الأعمال بالصلاة ، وختمها بالصلاة ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ... ﴾ ثم وصفهم بالأعمال الطاهرة المرضية إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

فتقديم ذكر الصلاة هنا يدل على أنها خير الطاعات ، وأحسن القربات ، كما أنَّ تركها أقبح القبائح وشر المخالفات ، قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ .

ولما كان أمْر الصلاة أهم الأوامر الإلّهية، أمر الله تعالى بها في مواضع من كتابه الكريم ؛ وأمر بالأمر بها ، قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .

فقد أمر سبحانه بأمر الأهل بالصلاة ، وأن يصطبر المصلي على صلاته ؛ بأن يؤديها في وقتها ، ولا يعجل فيها ؛ بأن يسرع في ركوعه وسجوه ، وَجَلَساته ، زعماً منه أن يوفِّرَ الوقت على نفسه لأجل كسب المعيشة ، والسعي في تحصيل النفقة ، فقال سبحانه : ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾ أي : لا نسألك أن ترزق نفسك حتى توفر من وقت الصلاة لكسبك ، بل نحن نرزقك . أي : نحن تكفلنا برزقك ، ورزقُكَ علينا ، فعليك أَن تُؤدي إلينا خدمتنا كما تنبغي ، ونحن نوصل إليك قِسمتنا كما تبتغي .

روى أبو داود ،عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مُرُوا أَوْلاَدكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِيْنَ ، وَاضْرِبُوْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِيْنَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي المَضَاجِعِ» .

وفي الموطأ ، عن ابن عمر أنَّ أباه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان يصلي من الليل ما شاء ، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ، يقول : الصلاة الصلاة ، ثم يتلو هذه الآية : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ... ﴾ إلى تمامها .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.. ﴾ الآية .

فيجب على المؤمن أن يقي نفسه وأهله من النار ، وذلك بأن يمتثل أمر الله تعالى ويأمر أهله بذلك ، ويحملهم على ذلك ، وينتهي عن المخالفات وينهاهم عنها ، والمراد بالأهل هنا : الزوجات والأولاد ، ذكوراً أو إناثاً . وأهم الأوامر الإلٰهية : الصلاة .

وقد استدل العلماء بهذه الآية على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب عليه ، وتعليم أهله ما يجب عليهم .

* * *

الصلاة هي أول ما فرض الله تعالى على عباده من دينهم

روى أبو يعلى ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ الله عَلَى النَّاسِ مِنْ دِيْنِهِمُ الصَّلاَة ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى الصَّلاَةُ ، وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الصَّلاة... » الحديث كما في (الترغيب) .

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر نوَّابه ورسله إلى الآفاق ، أن يبدؤوا بالدعوة إلى الصلاة بعد الشهادتين ، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، حين بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن قال له : « فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه شَهَادَةُ أَنْ لاَ إله إلاَ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَات فِيْ كُلِّ يَوم وَلَيْلَةٍ » .

وَقَدْ فَرَضَ الله تعالى الصلوات الخمس ليلة المعراج ، فوق السماوات العلى ، تعظيماً لشأنها ، وتفخيماً لأمرها ، وهذا يدل على أنها أعظم الفرائض وأشرفها .

ومما يدل أيضاً على أن الصلاة هي أهم الفرائض العملية أن الله تعالى فرضها على الحرِّ والعبد ، والذكر والأنثى ، والحاضر والمسافر ، والصحيح والمريض ، والغني والفقير .

ومما يدل على أهمية الصلاة أنها آخر ما أوصى به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما ذلك إلا للاهتمام بشأنها ، وإعظام أمرها ، كما روى الإمام أحمد بالسند الجيد ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان من آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم » حتى جعل نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يُلجلجها في صدره ، وما يفيض بها لسانه صلى الله عليه وآله وسلم .

الصلاة عماد الدين

جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الأَمرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِه »؟

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : « رَأسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ ، وَعَمُوْدُهُ الصَّلاَةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ.. » الحديث كما في الترمذي .

الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة

روى الترمذي والنسائي ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسرَ ، وَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِه شَيْئاً قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى للمَلاَئكَة : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ، فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ » .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمّاله في الآفاق : إنَّ مِنْ أهمِّ أموركم عندي الصلاة ، فَمَنْ حفظها حفظ دينه ، وَمَنْ ضيَّعَها فهو لِمَا سواها أضيع .

والصلاة هي أول ما يُسأل عنه العبد في القبر بعد الشهادتين ، كما قال عون بن عبد الله : إنَّ العبد إذا دخل قبره سُئِلَ عن صلاته أول شيءٍ سُئِلَ عنه ، فإن جازت له صلاته نُظر فيما سوى ذلك من عمله ، وإن لم تجز له لم يُنظر في شيءٍ من عمله بعدُ .

ويشهد لهذا المعنى ما تقدم في حديث المحاسبة .

❊ ❊ ❊

فضائل الصلاة

إنَّ للصلاة وجوهاً من الفضائل متعدة ، ونحن نذكر جملةً منها :

الصلاة تُكفِّرُ الخطايا :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ .

روى الشيخان ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ » ؟

قَالُوا : لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ ـ أي :وسخه ـ شَيْءٌ .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا » أي : الصغائر ، أما الكبائر فلابدَّ لها من توبة ، كما دل على ذلك حديث مسلم والترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الْصَّلَوات الْخَمسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ـ وفي رواية : « وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَان » ـ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ » وفي رواية : « إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ » .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ لله مَلَكاً يُنَادي عِنْدَ كُلِّ صَلاَة : يَا بَنِي آدَمَ قُومُوا إِلَى نِيرَانِكم

الَّتِـيْ أَوْقَـدْتُمُوهَا فَأَطْفِئُوهَـا » والمـراد بـالنيران هنـا الـذنوب . رواه الطبراني ، وقال المنذري : رجاله كلهم مُحتج بهم في الصحيح سَراة .

وَعَن أبي مُسْلِمٍ التغلبي قَالَ : (دخلت على أبي أُمَامـة رضـي الله عنه وهو في المسجد فقلت: يا أَبَا أمامة إِنَّ رَجُـلاً حَـدَّثَني عَنْـكَ أَنَّـكَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْـبَغَ الْوُضُوءَ ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَـى صَلاَةٍ مَفْرُوضَةٍ : غَفَرَ الله لَهُ فِـي ذَلِـكَ الْيَـوْمِ مَـا مَشَـتْ إِلَيْـهِ رِجْـلاه ، وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أُذُنَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ ، وَحَـدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ » .

فَقَالَ أبو أمامة رضي الله عنه : وَالله قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله صَـلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مراراً) رواه أحمد وله شواهد .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : « إِنَّ كُلَّ صَلاَةٍ تَحُطُّ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِن خَطِيئَـةٍ » . قال الهيثمي : رواه أحمد وسنده حسن .

الصلاة ترفع الدرجات :

روى مسلم ، عن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ الله عنه قَالَ : لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي الله بِهِ الْجَنَّةَ ـ أَوْ قَالَ أخبرني : بِأَحَـبِّ الأَعْمَـالِ إِلَـى الله تعالى ـ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ .

فَقَالَ ثوبان رضي الله عنه : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ بِهَا عَنكَ خَطِيئَةً » .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّه سَجْدَةً إِلاَّ كَتَبَ الله لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

الصلاة خير موضوع شرعه الله تعالى :

روى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الْصَّلاَةُ خَيْرُ مَوضُوعٍ ، فَمَنِ استَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثر » .

الصلاة خير الأعمال :

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « استَقِيْمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ـ وفي رواية : «استَقِيْمُوا تُفْلِحُوا » ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُم الصَّلاَة ، وَلاَ يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إِلاَ مُؤْمِنٌ » رواه الإمام أحمد ، وابن حبان في (صحيحه).

ومعنى : « لن تحصوا » أي : لن تحصوا ثناءً عليه سبحانه ، أو لن تُحصوا مراتب الاستقامة .

الصلاة شفاء للأرواح والأشباح :

روى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ فِي الْصَّلاَةِ شِفَاءً » .

الصلاة فيها اتخاذ عهد عند الله تعالى بدخول الجنة :

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَال :سَمِعْتُ رسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « خَمْسُ صَلَوَات كَتَبَهُنَّ الله عَلَى الْعبَاد ، فَمَنْ جَاءَ بهنَّ ولَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا ؛ اسْتخْفَافًا بِحَقِّهنَّ : كَانَ لَهُ عنْدَ الله عَهْدٌ أَنْ يُدْخلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » رواه مالك وأبو داود والنسائي .

وعن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن سبعة نفر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا أَجْلَسكُمْ » ؟ .

قلنا : جلسنا ننتظر الصلاة .

قال : فأرمَّ ـ أي : سكت ـ قليلاً ، ثم أقبل علينا فقال : « هَلْ تَدْرُوْنَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ » ؟ قلنا : لا .

قال : « فَإِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : مَن صَلَّى الصَّلاَةَ لوَقْتهَا ، وَحَافَظَ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتخْفَافاً بحَقِّهَا : فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخلَهُ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَم يُصَلِّهَا ، ولَم يُحَافظ عَلَيْهَا ، وَضَيَّعَهَا ؛ اسْتخْفَافاً بِحَقِّهَا فَلاَ عَهدَ لَهُ عَلَيَّ ، إِنْ شِئْتُ عَذبْتُهُ ، وَإِن شِئْتُ غَفَرتُ لَهُ » قال المنذري : رواه الطبراني ، وأحمد بنحوه .

الصلاة تمنح المصلي عفو الله تعالى ورحمته ورضوانه :

روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الوَقْتُ الأَوَّلُ مِنَ الصَّلاَةِ رِضْوَانُ الله ، والآخِرُ عَفْو الله » .

وروى الدارقطني أيضاً بسنده ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَوَّلُ الوَقْتِ رِضْوَانُ الله ، وَوَسَطُ الوَقْتِ رَحْمَةُ الله ، وآخِرُ الوَقْتِ عَفْوُ الله عَزَّ وَجَلَّ » .

الصلاة فيها مباهاة رب العزة ملائكته بالمصلي :

روى الشيخان ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ ـ وفي رواية أحمد : « إن المَلاَئِكَة يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ » أي : يتناوبون ـ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ في صَلاَةِ الصبح وَصَلاَة الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُم وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » .

الصلاة فيها صلة العبد بربه ، ترفع الحجب بين المصلي وبين ربه عز وجل :

عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِيْ الصَّلاَةِ فُتِّحَتْ لَهُ الجِنَان ، وكُشِفَتْ لَهُ الحُجُبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، واسْتَقْبَلَتْه الحُورُ العِيْنُ ؛ مَا لَمْ يَمْتَخِطْ ، أو يَتَنخَّع » رواه الطبراني في (الكبير) .

الصلاة فيها الاقتراب من حضرة رب الأرباب :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴾ روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ عَزَّ وجلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرِوا الدُّعَاءَ » .

الصلاة فيها مناجاة ربِّ العزَّة :

روى البخاري وغيره ، عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِيْهِ » .

وهذا حيث كانت الصلاة على التراب ، وإلا فيأخذ بيده اليسرى كما نُصَّ عليه .

وروى البخاري ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قَالَ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَه ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي الله مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِيْه فَيَدْفِنُهَا » .

الصلاة فيها التوجه والإقبال على الله تعالى :

روى البخاري ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّيْ فَلاَ يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ ، فَإِنَّ الله قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى » .

الصلاة فيها ذكر العبد ربه تعالى ، وذكره تعالى لعبده :

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ أي : لذكرك لي وذكري لك ، فإنَّ كل نوع من الذكر يتقرب به العبد لربه مقابَلٌ بذكرٍ منه سبحانه .

روى مسلم ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ يقول : « قَالَ الله تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نصفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ .

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

قَالَ الله تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي .

وَإِذَا قَالَ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

قَالَ الله تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي .

وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

قَالَ تعالى : مَجَّدَنِي عَبْدِي ـ وَقَالَ مَرَّةً : « فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي » ـ

فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ .

قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ .

فَإِذَا قَالَ : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

قَالَ تعالى : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ » .

وجاء في رواية الدارقطني والبيهقي زيادة في أوله : « فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

يَقُولُ الله تَعَالَى : ذَكَرَنِي عَبْدِي » قال النووي في (المجموع) : ولكن إسنادها ضعيف .

الصلاة فيها تأمين الملائكة ـ أي : تقول لِقُرَّاء الفاتحة في الصلاة : آمين ـ فمن وافق تأمينَهم غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه .

كما جاء في الصحيحين وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا أَمَّن الإِمَامُ فَأَمِّنُوا ، فَإِنَّه مَنْ وَافَقَ تَأْمِيْنُهُ تأمِينَ المَلائِكَةِ : غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وفي الصحيحين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إِذَا قَالَ أَحَدُكُم : آمِيْنَ ، وَقَالَتْ المَلاَئِكَةُ في السَّمَاء ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى : غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِه » .

قال في (نصب الراية) : وزاد مسلم : « إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَة آمِيْنَ ، وَقَالَتْ المَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاء... » إلى تمام الحديث ، قال : وهي زيادة حسنة نبَّه عليها عبد الحق في (الجمع بين الصحيحين) .

وفي هذه اللفظة أي : «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَة » فيها فائدة أخرى وهي اندراج المنفرد فيه ، وغير هذه اللفظة ـ أي : غير هذه الرواية ـ إنما هي في الإمام أو في المأموم أو فيهما . والله أعلم اهـ من (نصب الراية) .

يعني بذلك : أن الروايات السابقة بِجَمْعيَّتِهَا تدل بظاهرها على أن كل مصلٍّ سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً قال : آمين ، ووافق تأمينه تأمينَ الملائكة : غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه . والمراد من الموافقة للملائكة موافقتهم في وقت التأمين ، وقيل : في الصفة والخشوع والإخلاص ، كما بيَّنه الإمام النووي رحمه الله تعالى .

آثار الصلاة في المصلي

اعلم أنَّ للصلاة تكييفاً للمصلي ، وتأثيراً فيه ، روحيًّاً وقلبياً وعقلياً وإدراكياً وجسمياً ، وتنجلي تلك الآثار وتظهر نتائجها في مختلف العوالم .

فمنها ما يظهر في عالم الدنيا ، ومنها في عالم البرزخ ، ومنها ما يظهر في عوالم الآخرة ، ومنها في عالم الجنة .

فَمِنْ آثار الصلاة أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر :

قال الله تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ .

فقد أمر سبحانه بإقام الصلاة ، وبيَّن أثر الصلاة فيمن أقامها أنها تنهاه عن الفحشاء ـ أي : المحرمات الفعلية ـ والمنكر القولي . والفواحش الفعلية والمنكرات القولية هما مجمع الآثام والذنوب . **والمراد نهي الصلاة عن ذلك** : إما نهي الزجر والتحذير ، وذلك لِمَا تضمنته مِنْ أصناف العبادات : التكبير ، والقراءة ، والتسبيح ، والركوع ، والسجود الدَّال على كمال الخضوع والتعظيم لله تعالى ،

فكأنَّ الصلاة تقول للمصلي : لا تفعل الفحشاء والمنكر ، وكيف تفعل ذلك وتعصي ربك ؟! وقد ركعت له ، وسجدتَ ، وسبَّحت ، وكبَّرته، وحمدته ، مطيعاً خاضعاً له... ؟!

فينبغي للمصلي أن ينتهي عما نهته الصلاة مطيعاً لها ، كما روى ابن أبي شيبة ، وابن جرير وغيرهما ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له : إنَّ فلاناً يطيل الصلاة .

فقال : إنَّ الصلاة لا تنفع إلاَّ مَنْ أطاعها ـ أي : بأنه ينتهي عما نهته ـ ثم قرأ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ .

وقال سفيان في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ.. ﴾ الآية قال سفيان : واللهِ تأمره صلاته وتنهاه اهـ. يعني أن للصلاة أمراً ونهياً للمصلي .

أو المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ نهيُ المنع ، بمعنى أنها تمنع صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، وذلك على قدر حضوره في صلاته ، وخشوعه ، وقوّة نورها ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « والصلاة نور » فكلَّما قوي حضورها وخشوعها قوي وعظم نورها ، وإنَّ شأن النور أن يُطارد الظلمة حسب قوته ، فإذا قَوِيَ نور الصلاة بالخشوع والحضور امتدَّ نور الصلاة بَيْن يديها ، ومِنْ خلفها ، وطارد ظلمات الفواحش والمنكرات ، وإذا ضَعُفَ خضوعها وخشوعها ضعف نورها ، ورَبما

اشتدَّ ضعف نور الصلاة بحيث لا يُجاوزها أصلاً ، فتمنع صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام في صلاته فحسب ، حتى إذا كثرت صلواته وتجمَّعت قوي عزمها بتعاضدها مع بعض ، فهناك يعظم نورها ، ويمتدُّ أثره ، فتمنع صاحبها عن الفحشاء والمنكر ،كما روى الإمام أحمد ، وابن حبَّان ، والبيهقي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن فلاناً يُصلي في الليل فإذا أصبح سَرَق .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « سَيَنْهَاهُ مَا تَقُول » يعني : أن صلاته ستنهاه يوماً ما عما هو فيه .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فالمعنى : ولذكر الله في الصلاة أكبر . وبيان ذلك : أنها تشتمل على التخلية عن الفحشاء والمنكر ، وعلى التحلية بذكر الله تعالى ،فهي جامعة لخصال الكمال : التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالفضائل ، وهذه الخصلة أكبر مما قبلها ، كما قال أبو العالية وغيره : الصلاة فيها ثلاث خصال : الإخلاص ، والخشية ، وذكر الله تعالى ؛ فالإخلاص : يأمر صاحبه بالمعروف ، والخشية تنهاه عن الفحشاء والمنكر ،وذكر الله تعالى يأمره وينهاه ، وهذه الخصلة أكبر مما قبلها .

وقال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قالوا : لَذِكرُ الله تعالى للعبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى اهـ .

وهذا باعتبار أنَّ مَنْ ذكر الله تعالى ذكره الله تعالى قال : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ كذلك المصلي يذكر الله تعالى في صلاته ، فالله تعالى يذكره . وهذا أكبر .

ومن آثار الصلاة في المصلي أنها تُهَذِّبه من الصفات الذميمة :

قال الله تعالى : ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ الآيات .

يعني : أن الإنسان إذا مسَّه الشر اشتدَّ جَزَعُهُ وضجره ، وإذا مسَّه الخير من الله تعالى شحَّ ومنع حقَّ الله تعالى في ذلك .

وفي (المسند) وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « شَرٌّ مَاْ فِيْ الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ » .

ولم يبرأ من تلك الصفات الذميمة إلا المُصَلُّون ، الدائمون على صلاتهم في أوقاتها ، الملازمون لها ، فإنّها حوَّلتهم من الطباع السيئة إلى الطباع الحسنة ، وطوَّرتهم في أطوار الكمالات والفضائل . فما أعظم أثر الصلاة في نفسية المصلي وسجاياه وخصاله !

روى ابن حميد وابن المنذر ، عن قتادة ـ التابعي المفسر ـ في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ قال : ذُكِرَ لنا أن نبيَّ الله دانيال عليه السلام ، وصف أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

فقال دانيال : يصلُّون صلاةً لو صلاَّها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة .

قال قتادة : فعليكم بالصلاة ، فإنها خُلقٌ للمؤمنين حسن . اهـ كما في (الدر المنثور) .

ومن آثار الصلاة أن البرَّ الإلَهي يتناثر فيها على المصلي :

روى محمد بن نصر ، عن الحسن البصري مرسلاً ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لِلمُصَلِّي ثَلاَثُ خِصَالٍ : يَتَنَاثَرُ الْبِرُّ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، وَتَحُفُّ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ مِن لَدُنْ قَدَمَيْهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ ، وَيُنَادِيهِ مُنَادٍ : لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَن يُنَاجِي مَا انْفَتَلَ » .

ومن آثار الصلاة أَنّ الملائكة تُصَلِّي على المصلي ما دام في مصلاه :

روى البخاري ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قال : قال رسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ ، وَالْمَلاَئِكَةُ تَقُولُ : اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهم ارْحَمْهُ ، مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ مصَلاَّهُ أَوْ يُحْدِثْ » .

الصلاة تهيء المصلي للاقتراب من رب الأرباب :

قال الله تعالى : ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ ، روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » .

وإنما كان في السجود قرب خاص لما فيه مِنْ محض ذلِّ العبودية لمقام عزة الربوبية .

الصلاة نور للمؤمن في الدنيا والآخرة :

روى مسلم ، عَنْ أَبِي مَالِك الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَان ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ... » . الحديث .

فهي نور للمصلي في قلبه وبصيرته ، وعقله ووجهه .

قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ .

وروى الطبراني ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : « إِذَا حَافَظَ العَبْدُ عَلَى صَلاَته ، فَأَقَامَ وضوءها ، وَرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا ، وَالقراءَة فيْهَا ، قَالَتْ لَهُ : حَفظَكَ الله كَمَا حَفظْتَنِي ، وَصُعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا نُورٌ... » الحديث .

وهي نور للمؤمن في حشره ، وعلى الصراط ، وجميع برازخ الآخرة .

وفي (المسند) و(صحيح) ابن حبان ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الصلاة فقال : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وبُرهَانَاً وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ... » الحديث .

ومن آثار الصلاة في عالم القبر : أنها تحوط المصلي وتحفظه كما حفظها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وآله

وسلم : « إنَّ المَيِّتَ إذَا وُضِـعَ فِي قَبْرِهِ ؛ وَإنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نعَالِهِم حِـيْنَ يُوَلُّون مُدْبِرِيْنَ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنَاً كَانَتِ الصَّلاَةُ عِنْدَ رَأْسه ، وكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِيْنِه ، وكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَاله ، وكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنْ الصَّـدَقَةِ والصِّلاَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإحِسَانِ إِلَى النَّاسِ عَنْدَ رِجْلَيه .

فيؤتى من قِبَلِ رأسه فتقول الصلاة : ما قِبَلي مَدْخل ، ثم يُؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ما قِبَلِي مـدخل ، ثم يـؤتى عـن يسـاره فتقـول : الزكاة ما قِبَليْ مدخل ، ثم يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْه فَيَقُـولُ فِعْـلُ الخَيْـرَاتِ مِنْ الصَّدَقَةِ والمَعْروفِ وَالإحِسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ .

فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِس . فَيَجْلِسُ قَـدْ مُثِّلَـتْ لَـهُ الشَّـمْسُ ، وَقَـدْ دَنَـتْ لِلغُرُوبِ .

فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِيْ كَانَ قِبَلَكُم مَا تَقُولُ فِيه ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟.

فَيَقُولُ : دَعُونِيْ حَتَى أُصَلِّي .

فَيَقُولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ . أَخْبِرْنَا عَمَّـا نَسْـأَلُكَ عَنْـهُ : أَرَأَيْتَـكَ هَـذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ قِبَلَكُم مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟.

فَيَقُولُ : مُحَمَّد ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ الله .

فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِيْتَ ، وَعَلَـى ذَلِـكَ مِـتَّ ، وَعَلَـى ذَلِـكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ الله .

ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، وَمَا

أَعَدَّ الله لَكَ فِيْهَا .فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُوراً... » الحديث . قال المنذري : رواه الطبراني ، وابن حبان في (صحيحه) واللفظ له .

من حافظ على صلواته في الدنيا متعشِّقاً بها ، فإنه لا يزال يصلِّي في قبره متنعِّماً بصلاته :

وهذا مقام أعطاه الله تعالى لجميع أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ، وقد يُكرِمُ به من شاء من عِباده الصالحين .

والدليل على أن الأنبياء كُلَّهم يصلون في قبورهم : ما رواه أبو يعلى ، والبيهقي في جزء (حياة الأنبياء) عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِم يُصَلُّونَ » .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ عِنْدَ الكَثِيْبِ الأَحْمَرِ » أخرجه مسلم ، والنسائي .

وأما الدليل على صلاة الصالحين في قبورهم ، فقد تقدم في الحديث السابق ، أنَّ المؤمن يقول للملائكة : « دَعُونِيْ حَتَّى أُصَلِّي ، فَيَقُولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ » الحديث .

وأسند أبو نعيم في (الحلية) عن يسار بن حبيش عن أبيه قال : أنا والذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البُنَاني في لَحده ، ومعي حُميد ورجل غيره ، فلما سوَّينا عليه اللَّبِنَ ، سقطت لَبِنَةٌ فإذا به يُصلي في قبره .

فقلت للذي معي : ألا تراه ؟ قال : اسكت ، فلما سوَّينا عليه وفرغنا ، أتينا ابنة ثابت فقلنا لها : ما كان عملُ ثابت ؟ قالت : وما رأيتم ؟ فأخبرناها .

فقالت : كان يقوم الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر قال في دعائه : اللهم إن كنتَ أعطيتَ أحداً الصلاة في قبره فأعطنيها . فما كان الله ليردَّ ذلك الدعاء . اهـ

ونظير ذلك أن الله تعالى قد أكرم بعض عباده بتلاوة القرآن في قبره ، كما روى الترمذي ، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ خِبَاءً عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسَبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا .

فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « هِيَ الْمَانِعَةُ ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ ؛ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » .

وروى ابن مَنْدَهْ بإسناده ، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : أردت مالي بالغابة ، فأدركني الليل ، فأويتُ إلى قبر عبد الله بن حرام رضي الله عنه ، فسمعتُ قراءةً من القبر ما سمعتُ أحسن منها ، فجئتُ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له .

فقال : « ذَلِكَ عَبْدُ الله ، أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ الله قَبَضَ أَرْوَاحَهُمْ فَجَعَلَهَا فِي قَنَادِيلَ مِن زَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ ، وَعَلَّقَهَا وَسَطَ الجَنَّةِ ، فَإِذَا كَانَ

اللَّيْلُ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحُهم إِلَى مَكَانِهَا الَّتِي كَانَتْ » !؟ كما ذكره ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى .

الصلاة تحفظ على المصلي أعضاء السجود من النار :

جاء في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلاَّ الرُّسُلُ ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ : اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ » ؟

قَالُوا : نَعَمْ .

قَالَ : « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ الله تَعَالَى ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ ـ أي : يُهلك ـ بعَمَله ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الله رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ الله **عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مَوْضِعَ السُّجُودِ** ، فَيَخْرُجُونَ وَ قَدْ امْتُحِشُوا ـ أي : احترقوا ـ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.. » الحديث .

الصلاة تهيِّء المصلي وتعدُّه للسجود يوم تُدعى الخلائق للسجود لرب العالمين :

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴾ (٤٢) .

فقد أخبر سبحانه بهذه الآية الكريمة عن موقف امتحان المكلفين بالسجود يوم القيامة ، وذلك أنه سبحانه يكشف عن نور عظيم يتجلَّى به على أهل الموقف ، ويدعوهم إلى السجود له تعالى .

كما روى البخاري ، عَنْ أَبي سَعيدٍ رَضي الله عَنْهُ قَالَ : سَمعْتُ النَّبيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقٍ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا » .

وفي رواية مسلم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للَّهِ مِنْ تلْقَاءِ نَفْسِهِ ؛ إِلاَّ أَذِنَ الله لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً - أي : خوفاً من الناس ونفاقاً - إِلاَّ جَعَلَ الله ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ » .

والكشف عن الساق الوارد في الآية والحديث يفسِّرهُ ما رواه أبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر وغيرهم ، عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال : « عَنْ نورٍ عَظِيمٍ فَيَخِرُّونَ لَهُ سجَّداً » .

وروى سعيد بن منصور وابن مَنْده ، والبيهقي في (الأسماء) من طريق إبراهيم النخعي في قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال ابن

عباس رضي الله عنهما : أي : يكشف عن أمر عظيم ، ثم قال : يقال : قامت الحرب على ساقٍ . اهـ يعني : إذا اشتدَّت وعظمت .

ومن آثار الصلاة في الآخرة أنَّ لها باباً خاصاً من أبواب الجنة يدخل منه المصلي :

روى البخاري وغيره ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ : يَا عَبْدَ الله هَذَا خَيْرٌ .

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ » .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟

قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « نَعَمْ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » .

الصلاة تُهيِّء المصلِّي وتُعدُّه لمرافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة :

روى الطبراني ، عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : كنتُ أخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهاري ، فإذا كان الليل

أَوَيْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبتُّ عنده ، فلا أزال أسمعه صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « سُبْحَانَ الله ، سُبْحَانَ الله ، سُبْحَانَ ربي » حتى أمَلَّ ، أو تغلبني عيني فأنام .

فقال يوماً : « يَا رَبِيْعَةُ سَلْنِيْ فَأُعْطِيَكَ » .

فقلت : أَنْظرني حتى أنظر ، وتذكَّرت أنَّ الدنيا فانية منقطعة ، فقلتُ يا رسول الله : أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار ويدخلني الجنة .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : مَنْ أَمَرَكَ بِهَذا » ؟

قلتُ : ما أمرني به أحد ، ولكن علمتُ أن الدنيا منقطعة فانية ، وأنتَ من الله بالمكان الذي أنت منه ، فأحببتُ أن تدعو الله لي .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنِّيْ فَاعِلٌ ، فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » .

وروى مسلم عن رَبيعَةَ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أنه قَالَ : كُنْتُ أَبيتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي صلى الله عليه وآله وسلم : « سَلْنِي » .

فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ .

قَالَ : « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ » قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ .

قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » .

وروى الإمام أحمد ، عن أبي فاطمة رضي الله عنه قال : قال لي نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَانِي فَأَكْثِرِ السُّجُود » .

ومن آثار الصلاة في المصلي أنها تقوِّي استعداده لرؤية رب العزَّة جلَّ وعلا :

روى الشيخان ،عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا معَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - وفي رواية ليلة الْبَدْرِ - فَقَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لاَ تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا - زاد مسلم : يَعْنِي العَصْرَ وَالفَجْرَ- فَافْعَلُوا » . ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ .

وقوله : « لا تضامون » يُروى مخففاً من الضيم أي : لا ينال أحدكم ضيمٌ ولا حرمان ، بل كلكم ترون ربكم . وَيُرْوى مشدَّداً فهو ينفي الازدحام .

قال العلامة الخطابي : هذا يدل على أن الرؤية قد يُرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين . أي : صلاة العصر والفجر . اهـ .

قال الحافظ ابن حجر : وقد يُستشهد لذلك بما أخرجه الترمذي ، من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إلى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى الله تَعَالَى مَنْ

يَنْظُرُ إلى وَجْهه غُدْوَةً وَعَشِيَّةً » ثُمَّ قَرَأَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ .

أقول : هذا الحديث رواه أيضاً الإمام أحمد ، وابن أبي الدنيا مختصراً ، إلا أنه قال في روايته : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً : مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ الله تَعَالَى كَلَّ يَومٍ مَرَّتَيْن » .

الصلاة فيها تحية رب العالمين ، وتحية إمام الأنبياء والمرسلين وتحية جميع عباد الله الصالحين :

روى البخاري ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِي الصَّلاَةِ قُلْنَا : السَّلاَمُ عَلَى الله مِنْ عِبَادِهِ ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ ـ وفي رواية : السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيل وَمِيكَائِيل ـ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ : « لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى الله ، فَإِنَّ الله هُوَ السَّلاَمُ ، وَلَكِنْ قُولُوا : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ . فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ ذلك أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ـ وفي رواية : « فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لله صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ـ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » .

وبيان ذلك : أَنَّ المصلي يتنقل في صلاته مِنْ مرحلة إلى مرحلة ، مقبلاً على ربه متقرباً إليه ، حتى إذا انتهى إلى القعود دخل في حضرة

قُرب خاصة ، وهناك أقبل على ربه تعالى يحييه ، وليس من اللائق أن يحيِّي ربَّه بمثل تحيته للعباد ، بأن يقول : السلام على الله ، فإنَّ الله هوالسلام ، فعلَّمَنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحيةً لائقةً نحيِّي بها ربَّ العزَّةِ ، فقال : « قُولُوا : التَّحِيَّاتُ لله » أي : تحيَّة كلِّ محيٍّ ، وثناء كل مُثنٍ من أهل الملأ الأعلى والأدنى ، فإن ذلك كلَّه لله تعالى حقاً ذاتياً .

« وَالصَّلَوَاتُ » أي : صلوات خلق الله أجمعين ، من الملائكة والإنس والجن والطير ، وكل شيء مما خلق الله ، فإنها كلها لله تعالى حقاً .

قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

« والطَّيِّبَاتُ » القولية المشتملة على التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ .

فَجَمَعَ المصلي جميع التحيات والصلوات العملية ، والطيبات القولية ، وقدَّمها مُحَيِّياً بذلك ربَّ العزة جلَّ وعلا .

ثم شرع المصلي يحيِّي الواسطة الكبرى بين الحق والخلق ، والوسيلة العظمى ، حبيب الله الأعظم ، ورسوله الأكرم ، صلى الله

عليه وآله وسلم ، بسلام لائقٍ بمنصب نبوَّتـه الجامعـة صـلى الله عليـه وآله وسلم قائلاً : « السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ » .

ثم يقرأ المصلي السلام على نفسه من ربه تعالى ، وعلى عباد الله الصالحين من أهل السماء والأرض قائلاً : « السَّلاَمُ عَلَيْنَـا وَعَلَـى عِبَـادِ الله الصَّالِحِينَ » .

الصلاة لله تعالى فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وهي من أعظم القربات التي شرعها الله تعـالى . قـال الله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

فقد أخبر سبحانه خَبراً مؤكداً بأنه تعالى باسمه الله الجامع لجميـع الأسماء الإلهية ، وأنّ ملائكته كلَّهم يُصـلون علـى هـذا الـنبي الكـريم صلى الله عليـه وآلـه وسـلم ، وفي هـذا الخـبر إعـلان بشـرف مقامـه وإعلام بفضل الصلاة عليـه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ، وأن المـلأ الأعلى يصلون على هذا الـنبي الكـريم صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ، فحقيق بالملأ الأدنى أن يُصلوا على هذا الـنبي الكـريم صـلى الله عليه وآله وسلم ، ولذا أمر سبحانه بعد ذلـك الخـبر فقـال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم .

ناداهم بـ يا للتنبيه وأيها بالتأييه ، ليعتبروا في أهمية ما يَردُ علـيهم من الأمـر ، ويأخـذوه بقـوة ، فقـال : ﴿ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾

وفي الإتيان بهذا الأمر مع التقوية والتوثيق ، بعد الخبر بالتأكيد والتحقيق ، في ذلك غاية الإلهاب والتشويق إلى امتثال الأمر ، والمبادرة إليه ، وعدم التقاعس عنه .

روى مسلم ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدري رضي الله عنه قَالَ : أَتَانَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه .

فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه : أَمَرَنَا الله عزَّ وَجَلَّ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله؛ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟

فَسَكَتَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « قُولُوا : اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . وَالسَّلاَمُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ » أي : في التشهد .

قال الإمام النووي في (المجموع) بعد ما ذكر الحديث السابق : وفي رواية : كيف نصلي إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا ؟.

قال : « قُولُوا : اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » رواها ابن حبّان والحاكم في صحيحهما ، والدارقطني ، والبيهقي واحتجوا بها اهـ .

وهذه الصيغة المعروفة بالصيغة الإبراهيمية ، وردت فيها عدة أحاديث بروايات مختلفة ، رواها أصحاب الجوامع الصحيحة ، والسنن ، والمسانيد ، وقد نبه الفقهاء على أحب صيغها في الصلاة .

وفضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصها كثيرة شهيرة ، صنف فيها العلماء كتباً واسعة ، وقد ذكر في شرح المواهب جملةً منها نقلاً عن (القول البديع) حيث ذكرها هناك مع أدلتها من الأحاديث الواردة فيها .

قال : فَمِن الثواب المرتب للمصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ فيها تكفير الخطايا ، وتزكية الأعمال ، ورفع الدرجات ، ومغفرة الذنوب ، وأنه سبحانه يُصلِّي على من يُصَلِّي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة : يصلي عليه سبحانه عشر صلوات .

ومن فضائلها صلاة الملائكة على مَنْ يصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم واستغفارهم له ، وكتابة قيراط مثل أُحُد من الأجر لصاحبها ، والكيل له بالمكيال الأوفى ، وكفاية الله تعالى لِمَنْ يُصَلِّي عليه صلى الله عليه وآله وسلم أمر دنياه وآخرته ، وفضَّلها على عتق الرقاب ، والنجاة بها من الأهوال ، وشهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها ـ أي : لصاحبها ـ وثبوت الشفاعة للمصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

ورضاء الله تعالى ورحمته ، والأمان من سخطه تعالى ، ودخول المصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم تحت ظل العرش ، ورجحان

ميزانه ، وورود الحوض ، وأمانه من العطش عند الموت والحشر والنشر ، وعتقه من النار ، وجوازه على الصراط ، ورؤيته مقعده من الجنة قبل الموت .

وكثرة الأزواج ـ أي : الحور العين ـ في الجنة .

وأن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم بها ينمو المالُ ويُبارك فيه ، وتُقضى بها مائة من الحوائج بل أكثر ، وأنها عبادة ، وأنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى ، وأنها تزيِّن المجالس ، وتنفي الفقر ، وضيق العيش ، ويُلتمس بها مظانُّ الخير .

وأن المكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم أولى الناس به صلى الله عليه وآله وسلم .

وينتفع بها المصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم وولده ، وولد ولده ، وأنها تُقرِّب إلى الله عز وجلَّ ، وأنها نور ، وتنصر على الأعداء ، وتُطَهِّر القلب من النفاق والصدأ ، وتوجب محبة الناس ، وتوجب رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، وتمنع من اغتياب صاحبها ، وأنها من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعاً في الدين والدنيا ، إلى غير ذلك من الفضائل . اهـ .

وإنّ القلم ليقصر عن إحصاء الفضائل المرتبة على الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وعلينا معهم أجمعين ، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تعالى .

الصلاة فيها التسليم على الملائكة الموكلين بالعبد :

من الحفظة الذين يحفظونه ، والذين يحفظون عليه أعماله وأقواله ، وفيها التسليم على مَنْ في يمين المصلي ويساره من المصلِّين ، وَمَنْ أمامه ووراءه ، حيث يُسَلِّم عن يمينه ويساره قائلاً : السلام عليكم ورحمة الله ، كما روى أصحاب السنن ، عن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله » حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ الأَيْمَنِ ، وَعَنْ يَسَارِهِ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله » حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ الأَيْسَرِ .

وينوي السلام على أولئك الذين تقدم ذكرهم كلهم ، بما فيهم مِنْ حفظة الأعمال والأقوال .قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ الآيات .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ الله وكَّلَ بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ المَلَكَانِ اللَّذَانِ وُكِّلاَ بِهِ : قَدْ مَاتَ ، أَفَتَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَى السَّمَاء ؟

فَيَقُولُ الله تَعَالَى : سَمَائِي مَمْلُوءةٌ بِهَا مَلاَئِكَتِي يُسَبِّحُونَنِي .

فَيَقُولاَنِ : أَفَنُقِيمُ فِي الأَرْضِ ؟

فَيَقُول : أَرْضِي مَمْلوءةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونَنِي .

فَيَقُولاَنِ : فَأَيْنَ ؟.

فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : قُومَا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَاحْمَدَانِيْ ، وَسَبِّحَانِي ، وكَبِّرانِي ، وَهلِّلاَنِي ، واكْتُبَا ذَلِكَ لِعَبْدِي حَتَى أَبْعَثَهُ » .

رواه إسحاق بن راهويه ، كما في : (نصب الراية).

وينوي السلام على الحَفَظة الذين يحفظونه من أمر الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ... ﴾ الآية .

روى الطبراني ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « وُكِّلَ بِالمُؤْمِنِ مَائَةٌ وَستُّونَ مَلَكاً يَذُبُّون - أي : يَدْفَعُون - عَنْه مَالَم يَقْدِرْ عَلَيْه مِنْ ذَلِكَ ، البَصَرُ عَلَيْه سَبعَةُ أَمْلاَك يَذُبُّونَ عَنه كَمَا يُذَبُّ عَن قَصْعَة العَسَلِ الذُّبَابُ فِي اليَوم الصَّائِفِ ، ولَو وُكِّلَ العَبْدُ إلَى نَفْسِه طَرْفَةَ عَيْنٍ لاَخْتَطَفَتْه الشَّيَاطِيْنُ... » الحديث وأشباهه انظره في : (نصب الراية) .

ومما سبق يتبين أنَّ الصلاة فيها التحية لرب العالمين ، والتحية لإمام الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، والتحية لجميع عباد الله الصالحين ، وفيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله ؛ وإبراهيم وآله ، وفيها التسليم على الملائكة والمصلِّين ، ومن ثمَّ قال بعض العلماء والعارفين : إنَّ الصلاة فيها حقُّ الله تعالى ، وحقُّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحقوق جميع عباد الله الصالحين ، فَمَنْ ترك الصلاة فقد ضَيَّع تلك الحقوق كلَّها ، ولذلك عظمت معصية ترك الصلاة . كما في (فتح الباري) و(مراصد الصلاة) وغيرهما .

إحضار القلب في الصلاة

ينبغي للمصلي أن يهتمَّ بإحضار قلبه في الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ فإذا لم يحضر قلب المصلي في صلاته كان من الغافلين ، والغفلة تنافي الذِّكْر ، فَمَنْ غفل في صلاته كيف يكون مُقيماً للصلاة لذكر الله عزَّ وجل ؟!!.

عن عثمان بن أبي دِهْرِشَن ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لاَ يَقْبَلُ الله مِنْ عبدٍ عَمَلاً حَتى يَشْهَدَ قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ »[١] رواه المروزي مُرسلاً ، والديلمي موصولاً .

فينبغي للمصلي أن يُحضر قلبه في صلاته ، بأن يُفَرِّغَ قَلبه لأقوال الصلاة وأعمالها عن كل ما يشغله عن ذلك ، فيعقل معاني ما يقرأه في صلاته ، ومعاني تسبيحه وتحميده وجميع أذكاره وأقواله في صلاته ، وكذلك يعقل حقيقة ما يعمله في صلاته .

فيلاحظ في قيامِهِ أنه قائم لله تعالى ، واقف أمام رب العالمين ، وإذا ركع لاحظ أنه ركع لرب العزة ، معظِّمَاً له خاضعاً منكسراً ، وإذا سجد لاحظ أنه عبدٌ ذليلٌ سجد لربٍّ جليل .

---

(١) أي : لا يقبله قبولاً كاملاً مضاعفاً أجره ونوره ، أما مِنْ حيث الصحة فالجمهور على أن العمل صحيح بلا حضور ؛ إذا استوفى شروطه وأركانه . بمعنى : أن يسقط به الفرض .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أَمَا الرُّكُوعُ فَعَظِّموا فِيه الرب » .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا ركع قال : « اللهمَّ لَكَ رَكَعْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوكَّلْتُ ، أَنْتَ رَبِّي ، خَشَعَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَعِظَامِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالِمِينَ » كما رواه النسائي .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سجد قال : « اللهمَّ لَكَ سَجَدت ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، سَجَد وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ وصَوَّرَهُ ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِيْنَ » .

ومن أجل ذلك جاء النهي عن الالتفات في الصلاة ، وعن كل ما يشغل قلب المصلي عن شهود صلاته : ففي (المسند) بالسند الحسن ، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وآله وسلم بِثَلاَثٍ ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلاَثٍ ، قَالَ : (وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ ـ أي : بأن يُسْرع في الركوع والسجود كسرعة الديك في نقره ـ وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ) أي : بأن يلتفت في صلاته ، فإنه من صفات الثعالب ، وليس من صفات المصلين .

وَرُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ العَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ ـ أحسبه قال : ـ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ يَدي الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَإِذَا الْتَفَتَ يَقُول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ ؟ إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ؟ أَقْبِلْ يَا ابْنَ آدَمَ ، فَأَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ » قال المنذري : رواه البزار .

فإذا تمَّ للمصلي حضور القلب ؛ بأن لاحظ معنى ما يقوله في صلاته ، وعقل حقيقة ما يعمله فيها ، فحينئذ فُتِحَ له باب الخشوع في الصلاة .

الخشوع في الصلاة

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ فأول وصف للمؤمنين الذين سجَّل الله تعالى لهم الفلاح المحقَّق هو أنهم في صلاتهم خاشعون ، فأكْرِم به مِنْ وصف شريف ومقام منيف .

والخشوع هو : التذلُّلُ لله تعالى ، مع خشيةٍ منه . وهو يتطلب السكون والإطراق .

وعَنْ أَبِي الْيَسَرِ رضي الله عنه ، أَنَّ النبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « منكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلاَةَ كَامِلَةً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ ، وَالثُّلُثَ ، وَالرُّبُعَ ، وَالخُمُسَ ، حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ » رواه النسائي بإسناد حسن .

وعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ ـ أي : من صلاته ـ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ ، تِسْعُهَا ، ثُمُنُهَا ، سُبُعُهَا ، سُدُسُهَا ، خُمُسُهَا ، رُبُعُهَا ، ثُلُثُهَا ، نِصْفُهَا » رواه أبو داود والنسائي .

وعَنْ الْفَضْلِ بْنِ العَبَّاس رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « الصَّلاَةُ مَثْنَى مَثْنَى ، تَشَهَّدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ،

وَتَخَشَّعُ وَتَضَرَّعُ وَتَمَسْكَنُ ، وَتُقْنِـعُ يَدَيْكَ ـ أي : ـ تَرْفَعُهُمَا ـ إِلَى رَبِّكَ مُسْتَقْبِلاً بِبُطُونِهِمَا وَجْهَكَ ، وَتَقُولُ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ كَذَا وكَذَا » أي : ناقصة . رواه الترمذي والنسائي وغيرهما .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ لِوَقْتِهَا ، وَأَسْبَغَ لَهَا وُضُوءَهَا ، وأَتَمَّ لَهَا قِيَامَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا ، خَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ : حَفِظَكَ الله كَمَا حَفِظْتَنِي ، وَمَنْ صَلاَّهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا وَلَمْ يُسْبِغْ لَهَا وُضُوءَهَا ، وَلَمْ يُتِمَّ لَهَا خُشُوعَهَا وَلاَ رُكُوعَهَا وَلاَسُجُودَهَا ، خَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ : ضَيَّعَكَ الله كَمَا ضَيَّعْتَنِي ،حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيثُ شَاءَ الله ، لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوبُ الخَلَقُ ثُمَّ ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ » رواه الطبراني .

رفع الخشوع : عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الخُشُوعُ ، حَتَّى لاَ تَرَى فِيْهَا خَاشِعاً » رواه الطبراني بإسناد حسن .

الأسباب التي تجلب الخشوع : ينبغي لِمَنْ لَمْ يخشع في صلاته أن يتعرّف إلى أسباب الخشوع وهي متعددة :

أولاًـ أن ينظر إلى الشواغل التي تصرف قلبه عن الحضور والخشوع ، فإما أن تكون خارجة عنه أو منبعثةً منه .

فإن كانت خارجةً عنه كالمناظر التي تَستميله لتشغل قلبه عن صلاته ؛ فينبغي له الإغضاء وعدم الالتفات ببصره إليها ، أو

كالمسموعات التي تستهويه لسماعها ، ويشتغل بها قلبه عن ربه ، فينبغي للمصلي أن يصلي بعيداً عنها ، لأن السمع والبصر بابان عظيمان للقلب ، لا ينبغي لصاحبهما أن يُدخل منهما على قلبه ما يشغله عن ربه تعالى .

وإن كانت الشواغل للقلب مُنبعثة من نفس المصلي ، كالخواطر والأفكار المتعلقة بأمور الدنيا على اختلاف أنواعها ، فيجول الفكر فيها ويذهب معها بعيداً ، ويتوجه القلب نحو ما يفكر فيه ، وهنا يُشغل القلب عن الحضور والخشوع لربه تعالى ،فدواء هذا الداء أن يصلي العبد صلاة مودِّعٍ ،كما أرشد إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقد ورد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله أوصني .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « عَلَيْكَ بِالإِيَاسِ مِمَّا فِيْ أَيْدِي النَّاسِ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الفَقْرُ الحَاضِرُ ، وَصَلِّ صَلاَتَكَ وَأَنْتَ مُوَدِّع وَإِيَّاكَ وَمَا يُعتَذَرُ مِنْهُ » قال المنذري : رواه الحاكم ، والبيهقي في (الزهد) ، وصحح الحاكم إسناده .

والمراد بصلاة المودِّع إما صلاة مَنْ ودَّعَ الأغيار ـ أي : ترك جميع الأشياء وتوجَّه إلى ربها ـ أو المراد صلاة مَنْ ودَّع الدنيا لَمَّا أيقن بالموت ، فإنه حينئذ يكون كله وجهة إلى الله تعالى .

ثانياًـ ملاحظة المصلي أنّه يناجي ربه تعالى ، كما نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك ، فقد روى ابن خزيمة في (صحيحه) عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر ، فلما سلَّمَ نادى رجُلاً كان في آخر الصفوف فقال : « يَافُلاَن : أَلاَ تَتَّقِي الله ؟ أَلاَ تَنْظُرْ كَيْفَ تُصَلِّيْ ؟ إنَّ أَحَدكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيه! إِنَّكُم تَرَونَ أَنِّي لاَ أَرَاكُمْ ، إِنِّي وَالله لأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ » وأصل هذا الحديث في (صحيح) مسلم .

ثالثاًـ ملاحظة المصلي أنه قائم بين يدي رب العالمين ، فيخضع لعظمة الله تعالى ، كما نبَّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله : « إِنَّ العَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ يَدي الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.. » الحديث كما تقدم .

رابعاًـ ملازمة أوامر الله تعالى ، وهَجْرُ ما نهى عنه ، والإكثار من ذكر الله تعالى خارج الصلاة ، فإنَّ من لازم تقوى الله تعالى ، ولازم ذكر الله تعالى في سائر أوقاته ، بقي قلبه رقيقاً قريباً، وَمَنْ أعرض عن ذكر الله تعالى قسا قلبه وبَعُدَ ، فهيهات لحضوره! وإلى هذا نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِيْ ، وَلَمْ يَسْتَطِلْ بِهَا عَلَى خَلْقِيْ ، وَلَمْ يَبِتْ مُصراً عَلَى مَعصِيَتِي ، وَقَطَعَ النَّهَارَ فِي ذِكْرِي ، وَرَحِمَ المِسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ والأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ المُصَابَ ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ ، أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِي ، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلاَئِكَتِي ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُوراً ، وَفِي الجَهَالَةِ حِلْماً... » الحديث . قال المنذري : رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحرَّاني ، وبقية رجاله ثقات .

خامساً ـ أن يصلي لله تعالى كأنه يراه ، فإن لم يستطع ذلك ، فليراقب أنه سبحانه يراه ، وهذا من أحكام مقام الإحسان ، الوارد في حديث جبريل عليه السلام ، لَمَّا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان ، ثم قال : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراه فإنه يراك » ، وفي رواية لمسلم : « أَنْ تَخْشَى الله كَأَنَّكَ تَرَاه » .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحث الصحابة على التحقق بهذا المقام ، ويوصيهم بذلك في جميع عباداتهم وقرباتهم .

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه قال حين حضرته الوفاة : أُحَدِّثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اعْبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراه فإنه يراكَ ، واعْدُدْ نَفْسَكَ فِي المَوتَى ، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُسْتَجَابُ » رواه الطبراني .

وأوصى بذلك معاذ بن جبل رضي الله عنه ، كما روى الطبراني عنه أنه قال : قلت يا رسول الله أوصني ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اعْبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، واعْدُدْ نَفْسَكَ فِي المَوتَى ، واذْكُرِ الله عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وشجر ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَل بِجَنْبِهَا حَسَنَةً ، السِّرُّ بِالسِّرِّ ، والعَلاَنِيَةُ بِالعَلاَنِيَةِ » .

وروى الإمام أحمد ، والنسائي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أَخَذَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بِبَعْضِ جَسَدِيْ وقال : « اعْبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيْلٍ » .

وقد انطبعت هذه الوصية في قلب ابن عمر رضي الله عنهما ، وانصبغ بها ، فكانت عباداته كلُّها في هذا المشهد ، كما روى أبو نعيم وغيره ، أنَّ عروة بن الزبير رضي الله عنهما ، خطب إلى ابن عمر رضي الله عنهما بنته وهما في الطواف ، فلم يجبه ابن عمر رضي الله عنهما ، ثم لقيه بعدُ فاعتذر إليه ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال : (كنا في الطواف نتخايل الله تعالى بين أعيننا).

وفي رواية : (كنا نتراءى الله تعالى) .

وروى الطبراني ، وابن النجار ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله حدِّثني بحديث واجعله موجزاً .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « صَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ كَأَنَّكَ تَرَاه ، فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَايْأس مِمَّا فِيْ أَيْدِيْ النَّاسِ تَكُنْ غَنِيّاً ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ » أي : لا تفعل ما تُلام عليه ثم تَعْتَذِرُ من ذلك .

وإنَّ أعلى مقامٍ في الإحسان هو الذي انفرد به حبيب الرحمن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي قال : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِيْ الصَّلاَةِ » فما أعظم مشاهداته لله تعالى في تجلِّياته الموجَّهة عليه صلى الله عليه وآله وسلم في صلواته ، حتى إنه لم تقرَّ عينه إلا بصلاته ، صلى الله تعالى على ذاته وصفاته في جميع رُتَبِهِ ومقاماته ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾

يعني : أنها مَشقة وثقيلة على النفس إلا على الخاشعين ، فإنَّ فيها راحتهم وريحانهم ، ولذتهم ونعيمهم .

ففي (المسند) وغيره ، عَنْ عَبْد الله بْنِ مُحَمَّد ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى صِهْرٍ لَنَا منْ الأَنْصَارِ ، فَحَضَرَت الصَّلاةُ ، فقَالَ : يَا جَارِيَةُ ائْتِنِي بِوَضُوءٍ لَعَلِّي أُصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ ، فَرَآنَا أَنْكَرْنَا ذَاكَ عَلَيْه ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قُمْ يَا بِلاَلُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ » .

الأمر بالتزام الصلوات المفروضة في أوقاتها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ يعني أنه سبحانه فرض الصلاة على المؤمنين فرضاً محدود الأوقات ، لا يجوز إخراجها عن أوقاتها بدون عذر شرعي .

وبيان ذلك أن الله وهو الشارع الحكيم ، قد عيَّنَ لعباده أوقاتاً يعبدونه فيها ، ويتقربون فيها إليه ، ونَظَّم لهم أمر عباداتهم بدون أن يختل نظام معاشهم وكسبهم الذي يحتاجونه في دنياهم .

كما وأنه سبحانه ناط الصلوات الخمسة بأوقات خمسة ، تتجلى فيها عظائم قدرته ، وبدائع حكمته سبحانه ، وهي انفجار الفجر بالضياء الساطع ، وانكشاف الظلام الدامس ، بعد استحكامه وتغشّيه لما قابله من وجه الأرض ، ثم زوال الشمس عن كبد السماء ، وظهور سلطان ضيائها وبهائها ، ثم ميلها إلى أن يصير ظِلُّ كلِّ شيء مثله أو

مثليه ، ثم تدليها للغروب وزوال ضيائها المنتشر في الآفاق ، وامتداد ظلمة الليل وانتشارها في العالم بعد نور النهار ، ثم اشتداد ظلمة الليل واستحكامها لغياب الشفق .

قال تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ وكل ذلك يدل على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته . قال تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ فحقٌّ على العباد ـ وقد أراهم ربهم ما أراهم من سلطان ربوبيته ، وعظائم قدرته ، وبدائع حكمته في صنائع تربيته ـ أن يتوجهوا إلى ربهم عابدين له بما أمرهم به ، شاكرين له ، مثنين عليه .

كما وأنه سبحانه نَصب الأوقات دلائل تجلياته على عباده وتنزلاته ، فهو سبحانه المتعالي عن الزمان ، كما هو منزه عن المكان ، ولكن له تجليات وتنزلات ونفحات دلَّنا عليها بالأوقات ، وقد بينت السنة النبوية أنَّ للأوقات اعتبارات في التجليات و التنزلات والنفحات الإلٓهية، وأن بينها ارتباطات ومناسبات ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلاَ ظَلُومٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَسْتَكْشِفُ الضرَّ فَأَكْشِفَ عَنْهُ ؟ أَلاَ سَقِيْمٌ يَسْتَشْفِيْ فَيُشْفَى ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ » كما ورد في الصحاح .

وفي (صحيح) ابن حبَّان ، عن معاذ رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَطَّلِعُ الله تَعَالَى إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَان ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيْعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ » .

وروى ابن ماجه بإسناده ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ؛ فقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا ، فَإِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ أَلاَ مِنْ مُسْتَرْزِقٍ فَأَرْزُقَهُ ؟ أَلاَ مِنْ مُبْتَلَىً فَأُعَافِيَهُ ؟ أَلاَ كَذَا أَلاَ كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ » .

وروى الطبراني وغيره ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ لِرَبِّكُمْ في أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبكُم نَفْحَةً مِنْهَا ، فَلاَ تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبداً » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « تُعْرَضُ الأَعْمَالُ عَلَى الله تَعَالَى فِيْ كُلِّ يَومِ خَمِيْسٍ واثْنَيْن... » الحديث .

كل ذلك يدلنا على أن للأوقات اعتبارات في التجليات والتنزلات والنفحات . فلله تعالى تجليات يتجلى بها على عباده في أوقات الصلوات ، فحقٌّ على العباد أن يقابلوا ذلك التجلِّي بما يليق من التحلِّي ، وهو التحلِّي بِحِلية الصلوات ، وما تحتوي عليه من الطاعات والقربات إلى رفيع الدرجات .

* * * *

الأمر بالمحافظة على فعل الصلوات

وأن تؤدى في أوقاتها

قال الله تعالى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ .

والمعنى : داوموا على أداء الصلوات في أوقاتها من غير إخلال وتأخير .

روى الطبراني بإسناد جيد ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيْمَانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ : مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُوْدِهِنَّ وَمَوَاقِيْتِهِنَّ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَحَجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً ، وآتَى الزكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ، وأَدَّى الأَمَانَةَ »

قِيْلَ : يا رسول الله : وما أداء الأمانة ؟ قال : « الغُسْلُ مِنَ الجَنَابَةِ... » الحديث .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى الله ؟ قَالَ : « الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا » .
قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » .

قُلتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله... » الحديث رواه الشيخان .

وقد اختلف العلماء في المراد من الصلاة الوسطى :

فقال بعضهم : هي المتوسطة نهاراً وهي الظهر ، ويدل عليه ما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود بسند جيد ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالهاجرة ، ولم تكن صلاة أشدَّ على الصحابة منها ، فنزلت : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ الآية .

وروى الإمام أحمد من وجه آخر ، عن زيد رضي الله عنه أيضاً أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَجِيرِ ، فَلاَ يكُونُ وَرَاءَهُ إِلاَّ الصَّفُّ وَالصَّفَّانِ ، وَالنَّاسُ فِي قَائِلَتِهِمْ وَتِجَارَتِهِمْ ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ الآية .

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ ، أَوْ لأُحَرِّقَنَّ بُيُوتَهُمْ » .

وقال بعضهم الوسطى هي : المتوسطة بين صلاتيْ نهارٍ وصلاتيْ ليلٍ وهي العصر ، وعليه الأكثر . واستدلوا لذلك بما روى الشيخان ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ ، أَنَّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ الأَحْزَابِ : « مَلأَ الله قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَاراً ، شَغَلُونَا عَنْ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى صَلاةِ العَصْرِ » .

وفي رواية : « كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ » .

أو المراد المتوسطة بين الصلوات الخمس في الطول والقصر وهي المغرب ، أو المتوسطة بين صلاتين لا يجري عليهما القَصْرُ في السفر وهي العشاء ، أو المتوسطة بين جهريَّتين وسريَّتَين وهي الفجر .

وقال بعضهم : المراد بالوسطى إحدى الصلوات الخمس ، ولم يعيِّنها الله تعالى بل أخفاها في جملة الصلوات ؛ ليحافظوا على الصلوات كلها ، كما أخفى سبحانه ليلة القدر في ليالي العشر من رمضان ، والاسم الأعظم في جملة الأسماء الإلَهية ، وساعة الإجابة في ساعات يوم الجمعة ؛ ليلتمسها قاصدها في خلال تلك المدة كلها .

وقيل : الوسطى معناه الفضلى ، نظير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي : عدولاً فضلاء ، فالمراد بها صلاة الجمعة .

وثمَّة أقوال كثيرة للعلماء .

* * * * *

التحذير من تأخير الصلوات المفروضة عن أوقاتها من غير عذر شرعي

قال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ .

روى أبو يعلى بإسناد حسن ، عن مُصعب بن سعد رضي الله عنهما قال : قلتُ لأبي ـ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ : ياأبتاه أرأيت قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أيُّنا لا يُحدِّثُ نَفْسَهُ ؟

فقال : ليس ذاك ـ أي : ليس ذاك هو المراد من الآية ـ إنَّمَا هو إِضَاعَةُ الوَقتِ ، يَلْهُو حَتَى يَضِيْعَ الوقتُ .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ؟ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « هُمُ الَّذِيْنَ يُؤخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا » رواه البزار . وصوَّب الحافظ المنذري وقفه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلاَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذرٍ : فَقَد أَتَى بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الكَبَائِرِ » رواه الحاكم .

وروى البخاري في (صحيحه) عَن سَمُرَةَ بْنُ جُنْدُب رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ : « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا » ؟.

فَيَقُصُّ عَلَيْه مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُصَّ ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ : « إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي ، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لي : انْطَلِقْ . وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ، وَإِنَّنَا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْه بِصَخْرَةٍ ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لرأسه ، فَيَثْلَغ رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ فَيَأْخُذُهُ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْه حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كانَ ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى » .

ثم قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « قَالاَ لِي : سَنُخْبِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرآنَ فَيَرْفُضُهُ ـ أي : لا يعمل به ـ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ... » ـ أي : المفروضة ـ الحديث . وما ذكرناه هو جملة منه .

وبما ورد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تُهدِّد بالوعيد الشديد لمؤخر الصلاة عن وقتها ، استدل العلماء على أن تأخير الصلاة عن وقتها بدون عذر شرعي يُعتبر من كبائر الذنوب ، فلا يَزول إِثم التأخير بالقضاء فحسب ، بل لا بد له من توبة صادقة بعد القضاء ؛ حتى يرتفع عنه إِثم التأخير أيضاً .

قالوا : ومن العذر الشرعي خوف العدو ، كما إذا خاف المسافر من اللصوص أو قطاع الطريق ؛ ولم يمكنه فعل الصلاة أصلاً لا راكباً

ولا قاعداً ، كما وقع يوم الأحزاب ، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَلأَ الله قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَاراً ، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ... » الحديث .

ومن العذر الشرعي ـ كما نص عليه الفقهاء ـ خوف القابلة موت الولد ، وكذا إذا خرج رأس الولد ، وقد أدرك أمَّه الوقت ، وكانت بحيث لو صلَّتْ تخشى موت الولد بحركتها فلها أن تقضي بعد ذلك ، أما إذا لم تخف موت ولدها من حركتها في صلاتها فعليها الصلاة في تلك الحالة .

وفي (الدر المختار) وحاشيته ماحاصله : إذا أمكن الغريق الصلاة بالإيماء بلا عمل كثير بأن وجد ما يتعلق به ، أو كان ماهراً في السباحة لزمه الأداء إيماءً ، وإذا لم يمكنه ذلك فلا يلزمه الأداء ويعذر بالتأخير اهـ .

ولما كان تأخير الصلاة عن وقتها بدون عذر شرعي معصية كبيرة ، قال الفقهاء : يكره للإنسان أن يُطْلِعَ الناس على قضائه لصلاته ، لأن التأخير معصية فلا يُظهرها ، واستظهر في (رد المحتار) أن الكراهة تحريمية قال : لأن إظهار المعصية معصية ، لحديث (الصحيحين) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةَ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ الله تعالى ، فَيَقُولُ : يا فلان عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ » .

الوعيد الشديد لمن ترك الصلاة عمداً

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ .

فأخبر سبحانه عن الكفار بعد أن أُدخلوا النار ، وسألهم أصحاب اليمين عن السبب الذي أدخلهم النار ؟ فكان أوّل جوابهم : ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ فهم يُعذبون على ترك الصلاة لوناً خاصّاً من العذاب ، وفي هذا تنبيه لكل نَبيه أنّ ترك الصلاة ليس من صفات المؤمنين ، بل هو من صفات الكفار ، وأن صفات المؤمنين أنك ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ الآية .

من ترك الصلاة لقي الله تعالى وهو عليه غضبان

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قام بصَري ـ أي : ذهب بصره ـ قيل : نداويك وتدع ـ أي : تترك ـ الصلاة أياماً .

قال : لا ـ أي : لا أترك الصلاة أبداً ـ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ » رواه البزار ، والطبراني وإسناده حسن كما في (الترغيب) .

واعلم أنَّ أول لقاء يلقى به العبد ربه تعالى حين تقبض الملائكة روحه ، وتصعد بها إلى السماوات ، فياسعادة من لقي الله تعالى وهو عنه راضٍ ، ويا شقاوة من لقي ربه وهو عليه غضبان .

روى الإمام أحمد ، وابن ماجه وغيرهما ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ : « اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا » .

ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ على وُجُوهِهِمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ الله وَرِضْوَانٍ .

فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ؛ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ .

فَيَصْعَدُونَ ، بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ عَلَى مَلأٍ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ ؟

فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ـ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِه الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ـ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِا إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ الله تَعَالى : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ... » الحديث بطوله . فهذا أول لقاء العبد ربَّه تعالى .

فما أسعد العبد إذا لقي ربَّه وهو عنه راض ؟ نعم هي السعادة الكبرى ، كما ورد عن شهداء بئر معونة لَمَّا أرسلوا الخبر عنهم ، وعمَّا جرى بهم حين انتقلوا إلى البرزخ ، قالوا : اللهمَّ أبلِغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللهمَّ أَبْلِغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ ؛ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا » رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

وفي رواية للبخاري : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِيْنَا عَنهُ » .

من ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله تعالى

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ « أَنْ لاَ تُشْرِكْ بالله شَيْئًا ؛ وَإِنْ قُطِّعْتَ وَإِن حُرِّقْت ، وَلاَ تَتْرُكْ صَلاَةً مكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا ؛ فَمَنْ تَركَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ ، وَلاَ تَشْرَبِ الْخَمْرَ ؛ فَإِنَّه مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » رواه ابن ماجه والبيهقي .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال : يا رسول الله علِّمني عملاً إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ .

قال : « لاَ تُشْرِكْ بِالله شَيْئًا وَإِنْ عُذِّبْتَ وَحُرِّقْتَ ، وأَطِعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَخْرَجَاكَ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ شيءٍ هُوَ لَكَ ، وَلاَ تَتْرُكِ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّدًا ؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ الله » .

قال المنذري : رواه الطبراني ولا بأس بإسناده في المتابعات اهـ . وقد ورد نحو هذا الحديث في (المسند) وغيره .

من ترك الصلاة ذهب نوره وانقطع برهانه وَفَقَدَ النجاة في الآخرة

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمْر رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا فَقَالَ : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ ، وكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ ابْنِ خَلَفٍ » .

قال المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد ، والطبراني في (الكبير) والأوسط ، وابن حبَّان في (صحيحه) .

عن جَابِرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ » .

قال المنذري : رواه أحمد ومسلم ، وقال : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ » .

ورواه أبو داود والنسائي ولفظه : « لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ إلاَّ تَرْكُ الصَّلاَةِ » .

ورواه الترمذي ولفظه : « بَيْنَ الْكُفْرِ والإيْمَانِ تَرْكُ الصَّلاَةِ » .

ورواه ابن ماجه ولفظه : « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ » .
وبهذه الأحاديث النبوية وأمثالها استدل جماعات من الصحابة والتابعين ، وبعض الأئمة المجتهدين : على كفر تارك الصلاة مطلقاً.

أي : سواء تركها جاحداً ومستحلاً ، أو تركها عامداً تكاسلاً منه .

ولكن الجمهور الأعظم على أنَّ من تركها جاحداً لها يكفر ، لثبوتها بالأدلة القطعية ، وعليه تحمل الأحاديث السابقة وأمثالها .

وأما من تركها عامداً كسلاً منه فهو مؤمن فاسق لا يُكَفَّر ، لِمَا ورد في كثير من الأحاديث الثابتة عنه صلى الله عليه وآله وسلم التي تدلُّ على عدم كفر تاركها كسلاً .

فمنها أحاديث خاصة في المسلم التارك للصلاة ، ومنها عامة لتاركها ؛ ولكل عاصٍ من المسلمين .

فمن الخاصة حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت رضي الله عنه قَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآلـه وَسَلَّمَ يَقُولُ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله عزَّ وجَلَّ : مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ ، وَصَلاَّهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ ، كَانَ لَهُ عَلَى الله عَهْدٌ

أَنْ يَغْفِرَ لَه ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الله عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ » .

قال المنذري : رواه مالك ، وأبو داود والنسائي ، وابن حبَّان في (صحيحه) اهـ .

وفي (المجموع) : رواه أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة اهـ .

ولفظ (المسند) : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله عَلَى الْعِبَاد ، مَنْ أَتَى بِهِنَّ كَانَ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ » .

ومن الأحاديث العامة لتارك الصلاة ؛ ولكل عاصٍ من المسلمين ، حديث صاحب البطاقة المشهور ، وحديث الشفاعة وفيه : « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وجَلاَلِي لأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » أي : قالها مصدِّقاً فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أو يكون هذا من باب المطلق المحمول على المقيَّد ، كما دلت عليه بقية الأحاديث ، حيث قرن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الشهادتين ، وعلَّق الإسلاَمَ عليهما ، كقوله : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ ؛ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ : أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْعَمَلِ » متفق عليه .

أو من باب إطلاق لاَ إلَهَ إلاَّ الله على الشهادتين ، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

أو من باب العَلَمِيَّة على الشهادتين ، كقولك: قرأتُ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي : السورة كلَّها ، وقرأت : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وتريد السورة كلها . وهذا له نظائر وأشباه كثيرة .

فهذه الأحاديث وغيرها تمنع من التكفير والتأبيد في النار لمسلم ترك الصلاة ، ما دام مسلماً صحيح الإسلام .

وإذا تبيَّن لك أيها المسلم حكم تارك الصلاة ، وأن هناك جماعات من السلف الصالح قالوا : بكفر تاركها ، علمتَ أن أمر الصلاة عظيم ، وخطرها جسيم ، وأنها أهم الأوامر الإلَهية ، فعليك أيها المسلم أن تحافظ على الصلوات في أوقاتها ، وإن فاتتك صلاة وخرج وقتها فبادر إلى قضائها ، وتُبْ إلى الله تعالى من تأخيرها توبةً نصوحاً .

* * * *

مشروعية قضاء الصلوات المفروضة

ذهب جمهور أئمة أهل العلم من السلف والخلف رضي الله عنهم إلى أنَّ من ترك صلاةً مفروضةً عمداً لزمه قضاؤها ؛ كما يلزم من فاتته لنسيان أو نوم ، فكلهم مكلفون بالقضاء .

واستدلوا على ذلك بما في (الصحيحين) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال : « مَنْ نَسِيَ صَلاَةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا » .

وفي رواية لمسلم : « فَإِنَّ الله تَعَالى يَقُولُ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ » .

وفي (صحيح) مسلم ما ورد في حديث التعريس ، وفيه : فَنَامَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ؛ وَلاَ بِلاَلٌ ولا أصحابه؛ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، وَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الصَّلاَةَ فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، فَإِنَّ الله قَالَ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فما يسرُّني بها الدنيا وما فيها . يعني : الرخصة في قضاء الصلاة .

قال الحافظ ابن عبد البر : ذلك عندي ـ والله أعلم ـ لأنه كان سبباً إلى أنْ أعلم صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه المبلِّغين عنه إلى سائر أمته ، بأن مراد الله من عباده من الصلاة ـ وإن كانت مؤقتةً ـ أن مَنْ لم يصلِّها في وقتها يقضيها أبداً متى ذكرها ، ناسياً كان لها أو نائماً عنها ، أو متعمداً لتركها ، ألا ترى إلى حديث مالك ، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا » .

قال : والنسيان في لسان العرب يكون للترك عمداً ، أو يكون ضدَّ الذِّكر ، قال الله تعالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾ أي : تركوا طاعة الله والإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتركهم الله من رحمته .

قال : وهذا مما لا خلاف فيه ، ولا يجهله من له أقلُّ علم بتأويل القرآن .

وقال ابن عبد البر : **فإن قيل** : لِمَ خَصَّ النائمَ والناسي بالذكر في الحديث : « مَنْ نَامَ عَنْ الصَّلاةِ أوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا » .

قيل : خص النائم والناسي ليرتفع التوهم والظن فيهما ، لرفع القلم في سقوط التأثيم عنهما بالنوم والنسيان ، فأبان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن سقوط الإثم عنهما غَير مسقطٍ لما لزمهما من فرض الصلاة ، وأنها واجبة عليهما عند ذكرها ، ولم يحتَجْ إلى ذكر

العامد مَعَهُما لأنَّ العلة المتوهمة في الناسي والنائم ليست فيه ، ولا عذر للعامد في تركِ فرض قد وجب عليه من صلاته إذا كان ذاكراً له .

ثم قال : ودليلٌ آخر وهو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصلِّ هو ولا أصحابه يوم الخندق صلاة الظهر والعصر حتى غربت الشمس ، لشغله بما نصبه المشركون من الحرب ، ولم يكن يومئذ نائماً ولا ناسياً ، ثم صلى الظهر والعصر في الليل .

قال : ودليلٌ آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بالمدينة لأصحابه يوم انصرافه من الخندق : « لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِيْ قُرَيْظَةَ » فخرجوا مبادرين ، وصلى بعضهم العصر دون بني قريظة خوفاً من خروج وقتها المعهود ، ولم يصلِّها بعضهم إلا في بني قريظة بعد غروب الشمس ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِيْ قُرَيْظَةَ » ، فلم يعنِّف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من الطائفتين ، وكلهم غير ناسٍ ولا نائم ، ولم يقل لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الصلاة لم تصلَّ في وقتها ، ولا تقضى بعد خروج وقتها .

قال : وَمَنْ لزمه حقٌّ لله تعالى أو لعباده لزمه الخروج منه ، وقد شبَّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حقَّ الله عز وجل بحقوق الآدميين وقال : « دَيْنُ الله أَحَقُّ أَنْ يُقْضى » .

* * * *

مشروعية النوافل وفضائلها

النوافل هي العبادات الزائدة على الفرائض والواجبات ، وهي تشمل النوافل العملية من الصلاة والصيام والصدقة والحج وغير ذلك ؛ سوى المفروضات ، وتشمل النوافل القولية من تلاوة القرآن الكريم ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما سوى الواجب من ذلك ، وتشمل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وبقية الأذكار الإلّهية .

وفي مشروعية النوافل وجوه من الحكم :

أولاًـ أنها تُكْمل نقص الفرائض ، كما تقدم في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وَإِن انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِه شَيْئاً قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلمَلاَئِكَةِ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ، فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ... » الحديث .

ثانياًـ ليزداد المتعَبِّد بها خيرات ومبرات إلّهية ، لأنها أبواب خير إلّهي كثير ، وفضل رباني كبير ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فسبقوا إلى الخيرات العملية والقولية ، فنالوا الخير الكثير والفضل الكبير . كما صح عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه أنه قال : يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مَنْ النَّارِ ؟.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله تعالى عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ الله لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ».

ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ . ثُمَّ تَلاَ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ » الآيات .

فَبَيَّنَ صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ رضي الله عنه أهم الفرائض ، ثم أرشده إلى أبواب الخير وهي النوافل ، وذلك لأنَّ مَنْ دخل فيها نال الخير الإلهي في الدنيا والآخرة .

فصلى الله تعالى وَسَلَّم على معلِّمِ الخير ، صلاةً ننال بها كل خير ، وجزاه تعالى عنا ما هو أهله . صلى الله عليه وآله وسلم .

وإذا علمت أن النوافل أبواب الخير ، عرفت أنَّ أثر النوافل كبير ، لأنك لا تستطيع أن تحصي وجوه ذلك الخير ، الذي يتدفَّق عليك من أبوابها ، فأكثر منها ما استطعت .

ثالثاً ـ شرع الله النوافل للارتقاء في مقامات القرب والحبِّ الإلهي :

روى البخاري في (صحيحه) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الله تعالى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ ـ أي : أعلمته ـ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا زَالَ عَبْدِي ـ وفي

رواية : وما يَزَالُ عَبْدِي ـ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ » .

وفي رواية الطبراني والبيهقي في (الزهد) : « وإذا استنصرني نصرته » .

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عند الطبراني : « وَيَكُونُ مِنْ أَولِيَائِي وَأَصْفِيَائِي ، وِيكُونُ جَارِيْ مَعَ النَّبِيينَ والصِّدِّيقِيْنَ وَالشُهَدَاءِ فِي الجنَّة » .

وعند أحمد والبيهقي في (الزهد) لهما : « كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ به ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَفُؤَادَهُ الَّذِيْ يَعَقِلُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِيْ يَتَكَلَّمُ بِهِ » كما في (فتح الباري) و(شرح المواهب) و(شروح الأربعين) النووية وغيرها .

وقد بَيَّنَ العلماء المعنى المراد من قوله : « كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ » إلى تمامه ، وذكروا لذلك وجوهاً من المعاني ، وكلُّها تَرُدُّ وتنفي أوهام التشبيه والتجسيم والحلول . فجزاهم الله تعالى خيراً .

الأول : أنَّ المراد من ذلك أن يصير العبد بكليته مشغولاً بربه تعالى ، فلا يسمع إلاَّ إلى ما يُرضيه سبحانه ، ولا ينظر ببصره إلا ما أمره به ربه تعالى ، وهكذا تشتغل جميع حواسه وأعضائه فيما يرضي الله تعالى ، حتى عقله وقلبه أيضاً ، فلا يتعقل ولا يتفكر ولا يتكلم إلا بما يُرضي الله تعالى .

الثاني : أنَّ المراد بقوله : « كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ » إلى آخره أي : كنت له في النُّصرة والتأييد والمعونة والتسديد كسمعه وبصره... إلى آخر ما ورد.

الثالث : أن المراد بقوله : « كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ » إلى تمامه . أي : كنت مسموعه ، من باب إطلاق المصدر وإرادة المفعول . والمعنى أنَّ العبد يصل بذلك إلى مقام لا يسمع إلا ذكر الله تعالى ، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابه ، ولا يأنس قلبه إلا بمناجاته ، ولا يبصر إلا في عجائب ملكوته ، ولا يمدّ يده إلا فيما يرضاه سبحانه ، ولا يمشي إلا إلى ما يحبه تعالى .

ومما يناسب هذا المقام ما قاله الإمام الجنيد رضي الله عنه ، حين تكلم الشيوخ في المحبة ، وذلك في أيام الموسم بمكة المكرمة ـ وكان الإمام الجنيد أصغرهم سنّاً ـ فقالوا : هاتِ ما عندك يا عراقِيّ .

فأطرق رأسه ودمعتْ عيناه ثم قال : ـ أي : في صفة المُحبِّ ـ : عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربّه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرق قلبَه أنوارُ هيبته ، وصفا شربه من كأس وُدِّه ، وانكشف له الجبَّار من أستار غيبه ، فإنْ تكلَّم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرَّك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله .

فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ، جزاك الله خيراً يا تاج العارفين .

الرابع : إن قوله : « كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ » إلى تمامه . المراد به : كنت مقوِّياً وممدّاً بإمداد خاصٍّ

لسمعه وبصره وقلبه ولسانه وجوارحه ، وذلك بأن يُسمعه الله تعالى ما لا يَسمعه غيره مما هو المعتاد ، ويُبصره بما لا يبصره غيره ، ويُنطقه بما لا ينطق به غيره ، ويعطيه قوةً خاصةً في جوارحه ما لا يعطي غيره ، بحيث تكون قواه كلها الظاهرة والباطنة ممدودةً بإمداد إلـٰهي خاص ، وقوة إلـٰهية خاصة ، بحيث تخترق العادات وتقتحم العقبات ، ومن هنا تحصل الكرامات القاطعات الساطعات لِمَنِ ارتقى في هذه المقامات .

وإنَّ البحث في روايات هذا الحديث وشواهده ، وبقية وجوه معانيه ومفاهيمه ، وبيان مقامات التقرب المشار إليها في هذا الحديث من مقام قرب الفرائض ، ثم قرب النوافل ، والقرب الملكوتي ، وبقية البحث في مقامات القرب الخاص ، والفروق بينهما ، وما يترتب عليها من آثار ، وماذا تُعطي صاحبها من خصائص ، فهذا بحث يحتاج إلى كتاب مستقل .

اللهم ألحقنا بالصالحين ، واجعلنا من عبادك المقربين ، فضلاً من لدنك ونعمةً ، ياذا الفضل العظيم .

* * * * *

نوافل الصلاة وفضائلها

عَنْ السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « مَنْ ثَابَرَ ـ أي : واظب ـ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ : أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ » رواه النسائي ـ بهذا اللفظ ـ والترمذي ، وابن ماجه .

وفي هذا دليل مشروعية المواظبة على هذه السنن المؤكدة ، حيث عبَّر صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « مَنْ ثَابَرَ » .

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالى فِي كُلِّ يَوْم اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ ؛ إِلاَّ بَنَى الله تعالى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، أَوْ : إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ » رواه مسلم وأصحاب السنن .

سنة الفجر وفضلها

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلـهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » رواه مسلم .

وفي رواية للشيخين : « أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

وروى الطبراني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ

رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لاَ تَـدَعُوا الـرَّكْعَتَيْنِ قَبْـلَ صَلاَةِ الفَجْرِ ، فَإِنَّ فِيْهِمَا الرَّغَائِبُ » .

يعني : أن فيهما ما يُرغب في الخيرات والثواب .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ تَعْدِلُ رُبْعَ القُرْآنِ » وكان يقرؤهما في ركعتي الفجر ، وقال : « هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ فِيْهِمَا رَغَبُ الدُّرِّ » قال الحافظ المنذري : رواه أبو يعلى بإسناد حسن ، والطبراني في (الكبير) واللفظ له .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منها : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ الآية التي في البقرة ، ويقرأ في الآخرة منهما التي في آل عمران : ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية رواه مسلم .

وروى أبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الفجر : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ في الركعة الأولى ، وبهذه الآية : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أو آية ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ .

وروى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

قال الحافظ الزرقاني : وهذه الأحاديث تدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في سنة الفجر تارة بهاتين السورتين ، وتارة بالآي السابقة . اهـ

فضائل سنن صلاة الظهر

عن أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ يُحَافِظُ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا : حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ » رواه أحمد وغيره .

وروى الطبراني ، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : لَمَّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليَّ ـ أي : حينَ هاجر إلى المدينة ـ رأيته يديم أربعاً قبل الظهر وقال : « إِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ؛ فَلاَ يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ حَتَى تُصَلَّى الظُّهْرُ ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِي تِلْكَ السَّاعَةِ خَيْرٌ » أي : فلذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يصلي أربعاً قبل فرض الظهر .

وروى البزار ، عن ثوبان رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يَستحب أن يُصلِّيَ بعد نصف النهار ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إني أراك تستحب الصلاة هذه الساعة ؟

قال : « تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاء ، وَيَنْظُرُ الله تَبَارَكَ وتعالى بالرحمة إِلَى خَلْقِهِ ، وَهِيَ صَلاَةٌ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِم » .

وروى الترمذي ، عن عُمَرَ رضي الله عنه قال : سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقول : « أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ وبَعْدَ الزَّوَالِ تُحْسَبُ بِمِثْلِهِنَّ فِي السَّحَرِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَهُوَ يُسَبِّحُ الله تعالى في تِلْكَ السَّاعَةِ » ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ .

فضيلة سنة العصر

روى الترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رَحِمَ الله امْرَءاً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعاً » .

وروى الطبراني ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ ركَعَاتٍ قَبْلَ العَصْرِ : حَرَّمَ الله بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ » .

وفي رواية : « لَمْ تَمَسَّه النَّارُ » .

وروى أبو يعلى ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رِكَعَاتٍ قَبْل العَصْرِ بَنَى الله لَهُ بَيْتاً في الجنَّةِ » .

وروى الطبراني ، عن علي رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تَزَالُ أُمَّتِي يُصَلُّونَ هذهِ الأَربَع ركَعَاتٍ قَبْلَ العَصْرِ حَتَى تَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ مَغْفُوراً لَهَا حَتْماً » .

* * * * *

فضائل سنن صلاة المغرب
والصلاة بين المغرب والعشاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ ركَعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيمَا بَيْنَهُنَّ بِسُوءٍ : عُدِلْنَ بِعِبَادَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً » رواه الترمذي .

وعن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهم قال : رأيت عمار ابن ياسر يصلي بعد المغرب ست ركعات ،وقال : رأيت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بعد المغرب ست ركعات ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَن صَلَّى بَعْدَ المَغْرِبِ سِتَّ ركَعَات : غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » رواه الطبراني .

وروى ابن ماجه ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَن صَلّى بَعْدَ المَغْرِبِ عِشْرِيْنَ رَكْعَةً : بَنَى الله لَهُ بَيْتَاً فِي الجنَّةِ » .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصليت معه المغرب ، فصلى إلى العشاء . رواه النسائي بإسنادٍ جيد .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كانوا ـ أي : الصحابة رضي الله عنهم على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَتَنَفَّلُون ما بين المغرب والعشاء يصلون .

وكان الحسن يقول : قيام الليل ـ يعني : أن الصلاة بين المغرب والعشاء لها ثواب قيام الليل ـ رواه أبو داود .

فضائل سنن صلاة العشاء

عَنْ عَبْد الله بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ لِمَنْ شَاءَ » ـ أي : من غير فريضة ـ رواه الشيخان . والمراد بالأذانين : الأذان والإقامة .

وروى الطبراني ، عن البراء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ ركعَاتٍ كَأَنَّمَا تَهَجَّدَ بِهِنَّ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَمَنْ صَلاَّهُنَّ بَعَدَ العِشَاءِ كَمِثْلِهِنَّ مِنْ لَيلَةِ القَدْرِ » .

* * * * *

فضائل صلاة الضحى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : (أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ) رواه الشيخان .

وفضائل صلاة الضحى كثيرة نذكر جملة منها :

١ـ بها يغفر الله تعالى الذنوب :

روى الترمذي ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « مَنْ حَافَظَ عَلَى شُفْعَةِ الضُّحَى ـ أي : ركعتي الضحى ـ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » .

وروى أبو يعلى ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ ـ أي : بعد طلوعها وارتفاعها ـ فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ : غُفِرَ لَهُ خَطَايَاه ، وكَانَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

٢ـ بها يكون من الأوابين :

روى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لاَ يُحَافِظُ عَلَى صَلاَةِ الضُّحَى إِلاَّ أَوَّاب » قال : « وَهِيَ صَلاَةُ الأَوَّابِيْنَ » ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

٣ـ بها ينال أجر المعتمر :

روى أبو داود ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ

ـ أي : مفروضة يصليها في المسجد ـ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى ـ أي : صلاة الضحى ـ لاَ يَنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ ـ أي : صلاة الضحى ـ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ ، وَصَلاَةٌ عَلَى إِثْرِ صَلاَةٍ لاَ لَغْوَ بَيْنَهُمَا : كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ » .

٤ـ بها يُكتب من العابدين ومن القانتين :

روى الطبراني ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ صَلَّى الضُّحَى رَكعَتَيْنِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِيْنَ ، وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعاً كُتبَ مِنَ العَابِدِينَ ، وَمَنْ صَلَّى ستّاً كُفِيَ ذَلِكَ اليَوْمَ ،وَمَنْ صَلَّى ثَمَانِياً كَتَبَهُ الله مِنَ القَانِتِيْنَ ، وَمَنْ صَلَّى ثِنْتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى الله لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ ، وَمَا مِنْ يَومٍ ولاَ لَيْلَةٍ إلا لله مَنٌّ يَمُنُّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَصَدَقَةٌ ، وَمَا مَنَّ الله عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ » .

٥ـ بها يدخل الجنة من باب الضحى :

روى الطبراني ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنَّ فِي الجنَّةِ بَابَاً يُقَالُ لَهُ : الْضُّحَى ، فَإِذَا كَانَ يَومُ الْقِيَامة نَادَى مُنَادٍ : أَيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُدِيْمُونَ صَلاَةَ الْضُّحَى ؟ هَذَا بَابُكُم فَادْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ الله تَعَالَى » .

٦ـ بها يكفي الله تعالى العبد ما أهمه في ذلك اليوم ، ويدخل في ضمان الله تعالى :

روى الترمذي،عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما ، عن

رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، عن الله تَبَارك وتعالى أنه قال : « يَا ابْنَ آدَمَ لاَ تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رِكَعَاتٍ من أَوَّلِ النهار أَكْفِكَ آخِرَهُ » .

وروى الإمام أحمد ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « قال الله عزَّ وجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِن أَوَّلَ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ » .

٧ـ بها يؤدي العبد حقوق الصدقات عن أعضائه :

فإن العبد متى أصبح وجب عليه أن يتصدق على أعضائه كلها ، وإنَّ صلاة الضحى تفي بذلك كله :

روى مسلم ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى ـ أي : عضو ـ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى » .

وروى الإمام أحمد ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فِي الإِنْسَانِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مَائَةِ مَفْصِلٍ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْهَا صَدَقَةً » قَالُوا : فَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله ؟

قَالَ : « النُّخَامَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا ، والشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُ عَنْكَ » .

* * * * *

فضـائل قـيام الليـل

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ وقـال الله تعـالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ .

أي أخي : إنّ قيام الليل شعار الصالحين ، وفيه فضائل كثيرة وخيرات غزيرة ، وإنني أذكر لك طائفة منها ، لعلها تَنفخ فيك روح النشاط ، وتحملك على المواظبة على قيام الليل ؛ ولو ساعة قبيل الفجر تصلي فيها ، وتقرأ لك ما يتيسر من القرآن الكريم ، وتختم ذلك بالدعاء والابتهال والاستغفار ، وهاهي طائفة من الفضائل أذكرها بالترتيب :

١ـ صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة :

روى مسلم ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ الله الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ » .

وروى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فَضْلُ صَلاَةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاَةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السرِّ عَلَى صَدَقَةِ العَلاَنِيَةِ » .

وروى الطبراني ، عن سمرة رضي الله عنه قال : (أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ نُصَلّيَ مِنَ الليْلِ مَاقَلَّ أو كَثُرَ ، ونَجْعَلَ آخِرَ ذَلِكَ وِتْراً) .

وفي (الصحيحين) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالتْ : إِنَّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ـ أي : تتشقق وتتورَّم ـ فَقَلتُ لَهُ : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟

قَالَ : « أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا » ؟ .

٢ـ مَنْ واظب على قيام الليل يدخل الجنة بغير حساب :

روى البيهقي ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ فِي صَعِيْدٍ وَاحِدٍ يَومَ القِيَامَةِ ، فَيُنَادِي مُنادٍ فَيَقُولُ : أَيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيل ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ يُؤمَرُ بِسَائِرِ النَّاسِ إِلَى الحِسَابِ » .

٣ـ قيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفرة للسيئات :

روى الترمذي ، عَنْ أَبِي أمامة رضي الله عنه ، عن رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُم ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ عن الإِثْمِ » .

٤ـ قيام الليل صحة للجسد :

روى الطبراني ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُم ، وَمَقْرُبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنْ الإِثْمِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ » .

٥ ـ من واظب على قيام الليل دخل غرف الجنة بسلام :

روى الترمذي ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلاَمٍ رضي الله عنه قَالَ : أولُ مَا قَدِمَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ ـ أي : أسرعوا إليه ـ فَكُنْتُ فِيْمَنْ جَاءَهُ ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ وَاسْتَبَنْتُهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، قال : فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلاَمِهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاس نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ » .

وروى الطبراني بإسناد حسن ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فِي الجَنَّةِ غُرْفَةٌ يُرَى ظَاهِرُهَا مِن بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِن ظَاهِرِهَا » .

فقال أبو مالك الأشعري : لِمَنْ هي يا رسول الله ؟

فقال : « لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَم ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِماً وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

وروى ابن حِبَّانَ وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قلتُ : يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي ، وقرَّت عيني ،أنبِئْنِـيْ عن كل شيء .

فقال : « كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ المَاءِ » .

فقلت : أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة .

فقال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم : « أَطْعِـمِ الطَّعَـامَ ، ، وَأَفـشِ السَّلاَمَ ، وَصِلِ الأَرْحَامَ ، وَصَلِّ بِاللَّيْـلِ وَالنَّـاس نِيَـامٌ : تَـدْخُلِ الْجَنَّـةَ بِسَلاَمٍ » .

٦ـ قيام الليل فيه شرف المؤمن في الدنيا والآخرة :

روى الطبراني بإسناد حسن ، عن سهل بن سـعد رضـي الله عنـه قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَاشِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ،واعْمَلْ مَاشِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ، وَأَحْبِبْ مَن شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ فِـي الليْـلِ ، وَعِـزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ » .

وروى البيهقي ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « أَشْرَافُ أُمَّتِيْ حَمَلَةُ القُرْآنِ ، وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ » أي : قُوَّام الليل .

٧ـ من قام فصلى في الليل لا يَخِيْبُ :

روى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا خَيَّبَ الله امْرَءاً قَامَ فِي جَوفِ اللَّيْـلِ فَافْتَتَحَ سُورَةَ البَقَرَةِ وآلَ عِمْرَان » .

٨ ـ من قام يصلي في الليل فقد تعرَّض لنفحات القرب الرباني :

روى الترمذي ، عن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله تَعَالى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ » .

وفي (الصحيحين) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال : رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاء الدُّنْيَا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » ؟.

٩ـ قائم الليل يُكْتَبُ في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات :

روى أبو داود ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ وأُبَيِّ بن كَعب رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال : « إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا ، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ » .

١٠ـ من قام في الليل وأيقظ أهله للصلاة في الليل : وجبت لهما الرحمة ، وثبتت لهما المغفرة :

روى أبو داود ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ : « رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنْ اللَّيْل فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ ـ أي : رشَّ ـ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، ورَحِمَ الله امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ » .

وروى الطبراني ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَا من رَجُلٍ يستَيْقظُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُوْقظُ امْرَأَتَهُ ، فَإِنْ غَلَبَهَا النَّومُ نَضَحَ في وَجْهِهَا المَاءَ ، فيقُومَانِ فِيْ بَيْتِهِمَا ، فَيَذْكُرَانِ الله عَزَّ وَجَلَّ سَاعَةً مِنَ اللَّيلِ :إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا » .

وروى الحاكم وصححه ، عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : مكتوب في التوراة : لقد أعدّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم تسمع أُذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل .

قال عبد الله : ونحن نقرؤها ـ أي : في القرآن الكريم ـ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ...﴾الآية .

وعن بعض الصالحين أنه رأى سفيان الثوري في النوم بعد موته فقال له : كيف يا أبا سعيد ؟ فأنشأ يقول :

نظرتُ إلى ربي عياناً فقال لي ... هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنتَ قوّاماً إذا الليل قد دجا ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أيَّ قصر تريده ... وزرني فإني عنك غير بعيد

* * * * *

فضل إطالة قراءة القرآن الكريم في الليل

روى مسلم في صحيحه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ الله الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » .

وروى أبو داود ، عَنِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ : « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ » .

وروى الطبراني ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ ، وَالقِنْطَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ : إِقْرَأْ وَارْقَ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ آيَةٍ مَعَهُ ، يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ للعبد : اقْبِضْ .

فَيَقُولُ العَبْدُ بِيَدِهِ : يَارَبِّ أَنْتَ أَعْلَمُ .

يَقُولُ : بِهَذِهِ الخُلْدُ وَبِهَذِهِ النَّعِيمُ » .

وروى الطبراني ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ منَ الغَافلِيْنَ ، وَمَنْ قَرَأَ مَائة آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ قَرَأَ مائتَي آيَةٍ كتبَ من القَانتينَ ، وَمَنْ قَرَأَ أَرْبَعَمَائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ العَابِدِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمَائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الحَافِظِينَ ، وَمَنْ

قَرَأَ سُتَّمَائَةِ آيَةٍ كُتِبَ من الخَاشعيْنَ ، وَمَنْ قَرَأَ ثَمَانُمَائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُخْبِتِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ أَصْبَحَ لَهُ قِنْطَارٌ ، والقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمَائَتَا أُوْقِيَّةٍ ، والأُوْقِيَّةُ خَيْرٌ ممَّا بيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ـ أو قال : « خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ـ وَمَنْ قَرَأَ أَلفَي آيَةٍ كَانَ مِنَ المُوجَبِيْنَ » .

سمع بعض الصالحين المؤذن يقول في نصف الليل :

يا رجال الليل جدُّوا ... رُبَّ داعٍ لا يُرَدُّ
ما يقوم الليل إلا ... مَنْ له عزم وجِدُّ
ليس شيء كقيام الـ ... ـليل للقبر يُعَدُّ

فقال له الصالح : زدني فقال :

قد مضى الليل وولَّى ... وحبيبي قد تجلَّى

فصاح الصالح وخرَّ مغشياً عليه .

ومن آداب قيام الليل :

أن يمسح النوم عن وجهه بيده حين يستيقظ من نومه ، وأن يقرأ الخواتيم من سورة آل عمران ، لِمَا ورد في البخاري ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَهِيَ خَالَتُهُ رضي الله عنها ، قال : فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا ، فَنَامَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ؛ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ ؛ أَوْ بَعْدَهُ بقَلِيلٍ ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ من منامه ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ

الْعَشْرَ آيَاتِ الْخَوَاتِيمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ ـ أي : قربة ـ مُعَلَّقَةٍ ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي .

وفي رواية ابن مَرْدُوْيَهْ : ثُمَّ اسْتَوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى فِرَاشِهِ قَاعِداً ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : « سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ » ثلاث مرات . ثمَّ تلا خواتيم سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

وفي رواية له أيضاً : ثُمَّ قال : « اللهم اجْعَل فِي قَلْبِيْ نُوراً ، وَفِيْ سَمْعِيْ نُوراً ، وَفِي بَصَرِيْ نُوراً ، وَعَنْ يَمِيْنِيْ نُوْراً ، وعَنْ شِمَالِيْ نُوراً ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُوراً ، وَمِنْ خَلْفِي نُوراً ، وَمِنْ فَوْقِي نُوراً ، وَمِنْ تَحْتِيْ نُوراً ، وَأَعْظِمْ لِي نُوْرَاً » .

وفي رواية : « واجْعَلْ فِي نَفْسِي نُوراً ، وَأَعْظِمْ لِي نُوْرَاً » .

وفي رواية : « اللهم أَعطِنِي نُوراً » . وفي رواية : « واجْعَلْنِي نُوْرَاً » .

وفي رواية لمسلم : فجعل صلى الله عليه وآله وسلم يقول في صلاته أو في سجوده : « اللهم اجْعَل فِي قَلْبِيْ نُوراً » إلى تمامه .

وفي رواية لمسلم أيضاً : فأذَّن المؤذن ـ أي :لصلاة الفجرـ فخرج صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة وهو يقول : « اللهم اجْعَل فِي قَلْبِيْ نُوراً » إلى تمامه .

قال العلامة الزرقاني : ولا اختلاف في ذلك ، فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدعاء في صلاته الليلية ، وفي حال خروجه إلى صلاة الفجر .

ويذكر عن أنس رضي الله عنه قال : أُمرنا أن نستغفر بالليل سبعين استغفارة .

صلاة التراويح وعدد ركعاتها

اختلف الأئمة العلماء في عدد ركعات صلاة التراويح .

قال الإمام الترمذي في سننه : واختلف أهل العلم في قيام رمضان ـ أي : صلاة التراويح ـ فرأى بعضهم أن يصلِّي إحدى وأربعين ركعة مع الوتر . وهو قول أهل المدينة والعمل على هذا عندهم بالمدينة .

قال الترمذي : وأكثر أهل العلم على ما رُوِيَ عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرين ركعة . وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي .

وقال الشافعي : هكذا أدركت ببلدنا مكة يصلون عشرين ركعة .

وقال أحمد : رُوِيَ في هذا ـ أي : عدد صلاة التراويح ـ ألوان ـ أي : آثار مختلفة في العدد ـ ولم يقض فيه بشيء .

وقال إسحاق : بل نختار إحدى وأربعين ركعة على ما رُوِي عن أُبَيّ بن كعب اهـ . كلام الترمذي في سننه .

وذهب بعض العلماء من المحدثين وغيرهم : إلى أنّ عدد ركعات صلاة التراويح هو ثمان ركعات ، واستدلوا على ذلك بما في البخاري وغيره ، عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلتْ كيفَ كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان ؟.

فقالت : ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ،يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً ـ أي : الوتر ـ .

فقلت : يا رسول الله تنام قبل أن توتر ؟.

فقال : « يا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِيَ » .

حُجَّة من قال : إن صلاة التراويح عشرون ركعة :

إن أدلة جمهور العلماء والأئمة **الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية** على أن التراويح عشرون ركعة هي كثيرة نذكر جملة منها :

١ـ روى البيهقي في (معرفة السنن والآثار) عن السائب بن يزيد قال : كنا نقوم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعشرين ركعة والوتر .

قال النووي في (الخلاصة) : إسناده صحيح كما نقله القاري في (المِرْقاة) وابن الهمام في (فتح القدير) .

٢ـ روى الإمام مالك في (الموطأ) عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي رَمَضَانَ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً . ـ أي : مع الوتر ـ ، وإسناده قوي ، كما نبه على قوته في (بذل المجهود) .

٣ـ روى ابن أبي شيبة عن يحيى بن سعيد ، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أمر رجلاً يصلي بهم عشرين ركعة . وإسناده قوي .

٤ـ روى ابن أبي شيبة في (مصنفه) عن عبد العزيز بن رفيع قال :

كان أُبَيٌّ بن كعب رضي الله عنه يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ؛ يوتر بثلاث . إسناده قوي .

٥ـ روى ابن أبي شيبة عن عطاء قال : أدركت الناس وهم يصلون ثلاثاً وعشرين ركعة بالوتر . إسناده حسن .

٦ـ روى البيهقي عن أبي الخصيب قال : كان يَؤمنا سُوَيد بن غَفَلة في رمضان فيصلي خمس ترويحات عشرين ركعة . وإسناده حسن .

٧ـ روى ابن أبي شيبة ، عن نافع قال : كان ابن أبي مُلَيْكَةَ يصلي بنا في شهر رمضان عشرين ركعة .إسناده صحيح .

٨ـ روى ابن أبي شيبة ، عن سعد بن عُبيد : أنّ علي بن ربيعة كان يصلي بهم في رمضان خمس ترويحات ـ أي : عشرين ركعة ـ ويوتر بثلاث . إسناده صحيح ، كما نبه على ذلك كله في (بذل المجهود شرح سنن أبي داود) .

٩ـ روى محمد بن نصر في باب عدد الركعات التي يقوم بها الإمام للناس في رمضان ، عن زيد بن وهب قال : كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُصَلِّي بنا في شهر رمضان ؛ ينصرف وعليه ليل .

قال الأعمش : كان ابن مسعود رضي الله عنه يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث .

١٠ـ وروى محمد بن نصر أيضاً في الباب المتقدم ، عن عبد الله ابن قيس ، عن شتيرـ وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله

عنه المعدودين ـ أنه كان يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة ويوتر بثلاث .

فهذه الأحاديث والآثار باجتماع بعضها إلى بعض ، وتقوية بعضها لبعض ، تَثْبُتُ بها حجة صحيحة ، وأدلة صريحة ، على أَنَّ صلاة التراويح هي عشرون ركعة ، وذلك من وجوه متعددة :

١ـ هذه الآثار بجميعها تدل على أن عدد العشرين له أصل في عمل الجماهير من الصحابة والتابعين الذين تقدم ذكرهم ، وأن صلاة التراويح عشرين ركعة ليس قولاً ضعيفاً ، بل جرى عليه جماهير الصحابة والتابعين كما دلت عليه الآثار السابقة .

٢ـ إن هؤلاء الأئمة من الصحابة والتابعين الذين تقدم ذكرهم ليسوا بمبتدعين ، ولكنهم متبعون سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن المحال ديناً وشرعاً أن يصلوا في رمضان بعشرين ركعة ، ويؤموا الناس وتتبعهم الجماهير من الناس يقتدون بهم ؛ من المحال أن يكون ذلك من تلقاء أنفسهم دون أن يكون لهم دليل ثابت عنه صلى الله عليه وآله وسلم بعدد العشرين .

٣ـ أتظن أن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهم وَمَنْ بعدهم مِنَ التابعين الذين تقدم ذكرهم ؛ أتظن أنهم تركوا العمل بالحديث الذي يدل على أن صلاة التراويح ثمانية ، وصلوها عشرين ركعة من غير دليل ثابت عنه صلى الله عليه وآله وسلم؟ كلا وحاشاهم من ذلك ، بل لا بد وأَنَّ لهم من سنة النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ما يثبت هذا العدد العشرين . ولو لم تصل إلينا روايته بالاتصال والإسناد الصحيح .

٤ـ يؤيد ما ذكرناه ما روى الطبراني ، وابن أبي شيبة ، والبيهقي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة سوى الوتر . وإسناده ضعيف ولكن الآثار المتقدمة تؤيده وتنهض به .

٥ـ إنَّ تمسك سيدنا عمر رضي الله عنه بالسنة ومخالفته للبدعة هو أمر معروف به مشهورٌ عنه ، فقد صح عنه أنه لَمَّا قبَّلَ الحجر الأسود قال : قد علمت أنك لا تضر ولا تنفع ، أما والله لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبِّلُكَ ما قبلتك .

فلو لا أنه ثبت لديه عدد العشرين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لَمَا كان أقدم على ذلك ؛ ولَمَا حمل الناس عليه .

٦ـ إن سكوت الصحابة رضي الله عنهم وإقرارهم لحمل عمر رضي الله عنه الناس على صلاة التراويح عشرين ركعة ، دليل على ثبوت هذا الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سيما والسيدة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ، فإن سكوتها وعدم اعتراضها دليل الموافقة على حقِّيَّة فعل عمر رضي الله عنه ، إذ لو كان فعل عمر رضي الله عنه غير موافق لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاعترضته الصديقة رضي الله عنها ، فإنه ليس جَبَّاراً يُخْشَى من نقده واعتراضه ، كما يدل عليه موقفه مع المرأة .

فقد روى الحافظ أبو يعلى بإسناده ، عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والصَّدُقات ـ أي : المهور ـ فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليه ، فلا أعرفن مازاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم . ثم نزل .

فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟

فقال : نعم . فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟

قال : وأيٌّ ذلك ؟

فقالت : أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ الآية .

فقال عمر : اللهم غفراً ، كل الناس أفقه منك يا عمر .

وفي رواية : فقال : امرأة أصابت ورجل أخطأ . ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل . إسناده جيد قوي .

٧ـ إنَّ أمر عمر رضي الله عنه للناس أن يصلوا التراويح عشرين ركعة هو قول لا مجال للرأي والاجتهاد فيه ، فلا بد وأن له دليلاً من المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

كما جاء في الاختيار عن أبي يوسف قال : سألت أبا حنيفة عن التراويح وما فعله عمر رضي الله عنه ؟

فقال : التراويح سنة مؤكدة ، ولم يتخرَّصْه عمر رضي الله عنه من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيه مُبْتَدِعَاً ، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه ، وعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٨ ـ إذا صلينا صلاة التراويح عشرين ركعة لا نكون خالفنا فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته ، بل نكون حققنا العمل بسنته صلى الله عليه وآله وسلم ، وطبقناها على الوجه الذي فهمه الصحابة من سنة التراويح ، فإن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهم قد صلوها عشرين ركعة ، وهم في ذلك متبعون لسنته صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة عندهم ، فإذا صليناها نحن كذلك فقد عملنا بالسنة ، وفقاً لما ثبت عند هؤلاء الصحابة من عدد العشرين .

٩ـ إذا صلينا صلاة التراويح عشرين ركعة نكون قد حققنا العمل بسنة التراويح على الوجه الذي أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : « اقْتَدُوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِيْ : أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ » رواه الترمذي .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ » .

وبهذا يعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم ليسوا بمبتدعة ، بل هم أئمة متبعة . ونحن إذا صليناها عشرين ركعة نكون وُفِّقْنا إلى اتباع الحق الثابت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، على الوجه الذي فهمه عمر رضي الله عنه وثبت لديه وحمل عليه الناس .

فقد روى الترمذي وصححه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ الله جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » .

وقال ابن عمر : ما نزل بالناس أمر قطّ فقالوا فيه ، وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر رضي الله عنه .

فيقال لمن أنكر عدد العشرين ، وزعم أن الحق خلاف ما أمر به عمر رضي الله عنه : بل الحق هو عدد العشرين كما أمر عمر بذلك وأقره الصحابة رضي الله عنه ، لأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه ؛ بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

١٠ـ ولا يعارض في هذا ما جاء في (الموطأ) من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد أمر أن يصلى التراويح مع الوتر إحدى عشرة ركعة ، فإن هذا محمول على أنه كان أمر بذلك في مبدأ الأمر كما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها الذي تقدم ، ثم بعد ذلك أمر أن يصلوا التراويح عشرين ركعة ، لَمَّا ثبت عنده وعند غيره من أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلاها عشرين ، بدليل استقرار أمرهم عليه .

١١ـ يدل على ذلك أن الإمام مالكاً رضي الله عنه الذي روى عدد الثمانية وعدد العشرين ، لم يأخذ برواية الثمانية بل أخذ برواية عدد

العشرين ، كما جاء في مختصر خليل قال : ثم جُعلت ستاً وثلاثين . قال الشارح : وهو اختيار مالك في (المدونة) قائلاً : هو الذي لم يزل عليه عمل الناس . أي : في المدينة المنورة .

وأخيراً نقول : إن الذين تقدم ذكرهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قد أثبتوا عدد العشرين ، وكذلك الأئمة الأربعة ومن يلوذ بهم ، جميع هؤلاء أمناء أتقياء ورعون متبعون غير مبتدعين ، فاستجهالهم والطعن فيهم أو تخوينهم في النقل يؤدي إلى الطعن في صميم الشريعة وأحكامها ، لأنهم نقلة الشريعة ورجال سندها .

* * *

صلاة الاستخارة ودعاؤها

في الترمذي ، عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « منْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ كثرة اسْتخَارَة الله ، ورضَاهُ بِمَا قَضَى الله ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ الله ، وَسَخَطُهُ بِمَا قَضَى الله » .

وروى البخاري ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الاسْتخَارَةَ في الأُمُور كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ ، يَقُولُ : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ ركْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ :

اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ .

اللهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي ، وَعَاقِبَة ، أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ » ـ فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ .

وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي ، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ » ـ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ؛ ثُمَّ رَضِّنِي به . وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ » .

وفي (سنن) الترمذي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد الأمر قال : « اللهم خِرْ لِي واختَر لي » .

وهذا لا ينافي الدعاء السابق بل يدعو به أيضاً .

ويستحب افتتاح دعاء الاستخارة وختمه بالحمد لله ، والصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مستقبلَ القبلة كما هو سنة الدعاء ، وأن يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وسورة الكافرون، وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص ، واستحب جمع من المحدثين والصوفية رضي الله عنهم أن يقرأ في الركعة الأولى قبل سورة (الكافرون) آية القصص قوله تعالى :﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

ويقرأ في الركعة الثانية قبل سورة الإخلاص آية الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ .

قال الإمام الشيخ ابن عربي رضي الله عنه : يفعل ذلك ـ أي : الاستخارة على الوجه السابق ـ في كل حاجة مهمةٍ يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع في حاجته ، فإن كان له فيها خيرة عند الله تعالى يَسَّرَ له أسبابها ؛ إلى أن تحصل ، فتكون عاقبتها محمودة ، وإن تعذر شيء

من أسبابها عليه ، ولم يتفق تحصيلها بيسرٍ ، فلا يضادُّ القدر ، ويعلم أنه لو كان فيها خيرة عند الله تعالى ما تعذرت أسبابها ، فيعلم أن الله تعالى قد اختار له تركها ، فلا يتألم لذلك ، وسيحمد عاقبة تركها .اهـ

وقال الإمام النووي رضي الله عنه : وإذا استخار مضى بعدها لِمَا ينشرح لـه صدره ، والله أعلم .اهـ

وإذا لم يتضح لـه شيء يكررها ، فقد روى الديلمي ، وابن السني ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَا أنس إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرِ رَبَّكَ فِيهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ انْظُر إِلَى الَّذِي سَبَقَ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنَّ الخَيرَ فِيْهِ » .

ثم إن الاستخارة هي طلب الخيرة في الأمر ، فقد يكشف الله تعالى لك الخيرة كشفاً قلبياً فينشرح صدرك لذلك الأمر ، وقد لا يتجه قلبك لوجهٍ من الوجوه بسبب شغله في أمور أخرى ، أو بسبب ضيق في الوقت ، أو عدم وجود المناسبات الكاشفة لقلبك عن الأمر الذي استخرت الله تعالى فيه ، فحينئذٍ قد يُجَليه الله تعالى ويكشفه لك في عالم المنام ، ولذلك قال صاحب (شرعة الإسلام) في فصل فضيلة النوافل : ثم إنَّ المسموع من المشايخ أنه ينبغي أن ينام على الطهارة مستقبِلَ القبلة بعد قراءة الدعاء المذكور ، فإن رأى في منامه بياضاً أو خضرةً فذلك الأمر خير ، وإن رأى فيه سواداً أو حُمرةً فهو شر ينبغي أن يجتنبه .اهـ

وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه : وينبغي لأهل الله تعالى أن يصلوا صلاة الاستخارة في وقت معين يعينونه من ليل أو نهار ، في كل يوم ، فإذا قالوا الدعاء بعد السلام من الركعتين ـ أي : بعد صلاة

ركعتي الاستخارة ، وقراءة الدعاء الوارد في الحديث كما تقدم ـ يقولون في الموضع الذي أُمر أن يُسَمِّيَ حاجته ـ أي : حينما يصل في الدعاء إلى قوله : « اللهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي » يقول : اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرَّكُ فيه في حَقِّي وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرَّك فيه غيري في حَقِّي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني : خيرٌ لي في ديني ودنياي ، وعاجل أمري وآجله ، من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر ؛ فيسِّره لي واقدُره لي ورضني به .

وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرَّكُ فيه في حَقِّي وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرَّك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني ، من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر : شرٌّ لي في ديني ودنياي ، وعاجل أمري وآجله ؛ فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدُر لي الخير حيث كان ، ثم رضِّني به .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا فعل ذلك فما يتحرَّك بحركة ولا يُتَحرَّك في حقه بحركة إلا كان فيه خير محقق فعلاً أو تركاً . جرَّبْتُ هذا . اهـ

فعليك يا أخي أن تُعيِّن وقتاً خاصاً أوَّل النهار ، أو بعد صلاة الظهر ، أو بعد صلاة المغرب ، أو بعد صلاة العشاء ، وتصلي ركعتي الاستخارة ، ثم تدعو بما تقدم . وواظب على ذلك كل يوم ؛ فإنَّ فيه خيراً كثيراً .

* * * *

صلاة الحاجة ودعاؤها

روى الترمذي وغيره ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلاً ضَرِيراً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ : ادْعُ الله تعالى أَنْ يُعَافِيَنِي .

قَالَ : « إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ».

قَالَ : فَادْعُهْ ـ أي : ادع الله تعالى ـ .

فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : « اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يا محمد إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيْ ، اللهمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ » .

وفي رواية النسائي : فتوضأ ثم صلى ركعتين ـ أي : ثم دعا ـ .

وفي الترمذي وغيره ، عن ابْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يوماً فَقَعَدَ وَقَالَ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى الله تعالى ، أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الوضُوْءَ ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ،ثُمَّ لِيُثْنِ عَلَى الله عزَّ وَجَلَّ ، ولِيُصَلِّ عَلَى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ لِيَقُلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،أَسْأَلُكَ مُوجبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، لاَ تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَهُ ، وَلاَ هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ ، وَلاَ حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَاحِمِيْنَ » .

وفي حاشية الدر عن التجنيس : أن صلاة الحاجة أربع ركعات بعد العشاء ، وأن في الحديث المرفوع يقرأ في الأولى الفاتحة مرةً وآية

الكرسي ثلاثاً ، وفي كلٍّ من الركعات الثلاثة الباقية يقرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين مرة مرة ؛ كُنَّ له مثلهن من ليلة القدر .

قال مشايخنا : صلينا هذه الصلاة فقضيت حوائجنا . اهـ

وفي (سنن) أبي داود ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : (كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا حَزَبَهُ ـ أي : نزل به هم أو غم ـ صَلَّى) أي : لأن الصلاة تدفع النوائب ، وترفع المصائب .

وحَزَبَهُ بالباء أو بالنون كما في (فيض القدير) .

صلاة التسبيح وأذكارها

روى أبو داود وابن ماجه ، وابن خزيمة في (صحيحه) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه : « يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ ، أَلاَ أُعْطِيكَ ، أَلاَ أَمْنَحُكَ ، أَلاَ أَحْبُوكَ ، أَلاَ أَفْعَلُ لكَ عَشْرَ خِصَالٍ ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلكَ : غَفَرَ الله لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وقَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ ، وصَغِيرَهُ وكَبِيرَهُ ، وسِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ ، عَشْرَ خِصَالٍ : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ فقل وَأَنْتَ قَائِمٌ : سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله وَلاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله وَالله أَكْبَرُ[1] ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا ، ـ أي : بعد تسبيحات الركوع ـ ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنْ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا ، ـ أي : بعد تسبيحات السجود ـ ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ

(١) ويضيف إليها « ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليِّ العَظِيمِ » لما روي في ذلك .

تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِن السجود فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَة ، تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ .

إن اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا في كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ تستطع فَفِي كُلِّ جُمُعَة مرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كل شَهْرٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً » .

وقد روي هذا الحديث بروايات مختلفة وأسانيد متعددة يقوِّي بعضها بعضاً ، ولذلك قال بعض المحققين : لا يسمع بعظيم فضلها ويتركها إلا متهاون بالدين .

قيل لابن عباس رضي الله عنهما : هل تعلم لهذه الصلاة سورة ؟ ـ أي : تستحب قراءتها فيها ـ .

فقال : التكاثر ،العصر ،الكافرون ، والإخلاص .

صلاة التوبة من الذنب

روى أصحاب السنن ، عن أَبِي بكْر الصديق رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ـ وفي رواية البيهقي «ركعتين» ـ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ الله إِلاَّ غَفَرَ الله لَهُ » ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وينبغي أن يتحقق مع الاستغفار بشروط التوبة : الندم على ما فعله ، والإقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود لمثله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

صـلاة العيـديـن

هي واجبة عند الحنفية على الأصح ، وثمة قول بأنها سنة مؤكدة وصُحِّح ، وعند الشافعية هي سنة مؤكدة .

وهي ركعتان ، لما ورد عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : (خَرَجَ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَوْمَ عِيدٍ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُما وَلاَ بَعْدَهُمَا) رواه الشيخان وغيرهما .

ويكبر الحنفي ثلاث تكبيرات في الركعة الأولى ، بعد الثناء قبل القراءة ، ويكبر في الركعة الثانية ثلاث تكبيرات ، بعد القراءة قبل الركوع مع رفع يديه عند التكبير ، ثم إرسالهما بين التكبيرات .

وأما الشافعي فإنه يكبر في الركعة الأولى سبعاً غير تكبيرة الإحرام ، بعد الافتتاح وقبل التعوذ ، ويكبر في الثانية خمساً . وتأتي بقية الأحكام في الجزء التالي إن شاء الله تعالى .

روى الطبراني ، عن سعد بن أبي أوس الأنصاري عن أبيه رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا كَانَ يَومُ عِيْدِ الفِطرِ وَقَفَتِ المَلائكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ فَنَادَوا : أُغْدُوا يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ إِلَى رَبٍّ كَرِيْمٍ ، يَمُنُّ بِالخَيْرِ ثُمَّ يُثِيْبُ عَلَيْهِ الجَزِيْلَ ، لَقَدْ أُمِرتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ ، وَأُمِرتُم بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُم ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكمْ ، فَإِذَا صلَّوا نَادَى مُنَادٍ : أَلاَ إِنّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ

فَارْجِعُوا رَاشِدِيْنَ إِلَى رِحَالِكُم ، فَهُوَ يَومُ الجَائِزَةِ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَـومُ ـ أي : يوم عيد الفطر ـ فِي السَّمَاءِ يَومُ الجَائِزَةِ » .

قال المنذري بعد روايته : وتقدم في الصيام ما يشهد له .

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، عَـنِ النَّبِـيِّ صَـلَّى الله عَلَيْـه وآلـه وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لَمْ يَمُتْ قَلْبُـهُ يَـوْمَ تَمُـوتُ الْقُلُوبُ » رواه ابن ماجه .

وعن حسين بن علي رضي الله عنهما قال : قـال رسـول لله صـلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ ضَحَّى طَيِّبَةً نَفْسُهُ ، مُحْتَسِباً لأُضْحِيَتِهِ كَانَتْ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّار » رواه الطبراني في (الكبير) .

و عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ الله صَـلَّى الله عَلَيْـه وآلـه وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلى الله مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ ، وإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَة بقرُونِهَا وَأَشْـعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَـا ، وَإِنَّ الـدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ الله بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا » رواه ابن ماجه والترمذي و قَالَ : حَسَنٌ غَرِيبٌ ، والحاكم وصحح إسناده .

ويُسَـنُّ الاغتسـال قبـل الخـروج إلى صـلاة العيـد ، والاسـتياك والتطيُّب ، ولبس أحسن الثياب ، فقد روى البيهقي عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لهُ بُرد يلبسه في العيـدين والجمعة .

وروى مسلم وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج إلى العيد يرجع من غير الطريق الذي خرج منه .

وفي هذا سنة للأمة ، وله وجوه من الحكم ذكرها العلماء ، منها : أنه فعل ذلك ليشهد له الطريقان يوم تُحَدِّث الأرض أخبارها ، وليشهد له أهل الطريقين من الملائكة والإنس والجن ، وليُسلم على أهلهما ، ولإظهار ذكر الله تعالى وشعائر الإسلام ، ولتعميم البركة والسرور ، ولقضاء حوائج أهل الطريقين ، وغير ذلك .

والعيد مأخوذ من العَوْد ، سُمِّيَ بذلك لأن لله تعالى فيه عوائد البر والإحسان على عباده المسلمين ، بالعفو والغفران والرحمة والرضوان ، ولِمَا فيه من عود نفحات السرور والحبور والبهجة والنور ، وإن أعياد المسلمين في هذه الدنيا تذكرهم بأعياد الآخرة ، أيام يتجلى الله تعالى فيها عليهم برؤيته عياناً .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟.

فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ ؟.

قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ » ثم تلا آية : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ ، إِذْ سَطَعَ عَلَيْهِمْ نُورٌ ، فَرَفَعُوا رُؤوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ جَلَّ جلاله قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . وَهُوَ قَوْلُه ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيم مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ ، وَتَبْقَى فِيهِمْ بَرَكَتُهُ وَنُورُهُ » . رواه ابن ماجه .

وإن حسن العرض بالألبسة الحسنة يُذكر المسلمين بعرضهم الأكبر على الله تعالى ، ولكن هذه الألبسة وحدها لا تصلح لذلك العرض ، وإنما يصلح له تقوى القلوب والأعمال ، قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ » أي : رُبَّ نفس كاسية « فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ » الحديث رواه البخاري .

*　　*　　*

صلاة ركعتي الوضوء

عَنْ عُقْبَةَ رضي الله عنه قَالَ : كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الإِبِلِ ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي أرعاها ، فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَائمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ ، وَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِه : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِل عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

فَقُلْتُ : مَا أَجْوَدَ هَذا ، فَإِذَا قَائِلٌ يقول بَيْنَ يَدَيَّ : الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُكَ قَدْ جِئْتَ آنِفًا ـ أي : الآن ـ وما سمعتَ ما قال قبله ، قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ ، فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ : إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ ؛ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » رواه مسلم .

وعند الترمذي بعد قوله : « وَرَسُولُهُ » : « اللهمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ » .

فيندب صلاة ركعتين عقب الوضوء وكذا الغسل ، ويحسن أن يقرأ فيهما سورة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ والإخلاص.

* * * * *

صلاة تحية المسجد

يسن للمسلم أن يصلي ركعتين أو أربعاً إذا دخل المسجد تحية لربِّ المسجد ، في غير وقت الكراهة ، أما إذا دخل المسجد في وقت الكراهة فعند الحنفي يسبح ويهلِّل ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فبذلك يؤدي حق المسجد كما نُبِّهَ إليه . وينوب عن تحية المسجد كل صلاة صلاها عند دخول المسجد ؛ فرضاً كان أو سنة ،كما سنوضحه بعدُ إن شاء الله تعالى .

وفي (الصحيحين) عن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال : « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ » .

وروى ابن حبان في (صحيحه) عن أبي ذر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً ، وَإِنَّ تَحِيَّته رَكْعَتَان فَقُمْ فَارْكَعْهُمَا » .

ولا تسقط بالجلوس عند الحنفية لكنه خلاف الأولى ؛ لِمَا ورد في الدليل الثابت .

* * * * *

صلاة ركعتي السفر وركعتي القدوم

روى الطبراني وغيره ، عن مُطْعِم بن المقدام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما خَلَّفَ أَحَدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُمَا عِنْدَهُمْ حِيْنَ يُرِيْدُ سَفَراً » .

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقدم من السفر إلا نهاراً في الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلَّى فيه ركعتين ثم جلس فيه .

وفي رواية الطبراني : فصلى فيه ركعتين ثم يُثَنِّي بفاطمة رضي الله عنها ، ثم يأتي أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم .

فيندب صلاة ركعتي السفر في البيت ، وصلاة ركعتي القدوم في المسجد .

* * * *

فريضة صلاة الجمعة

هي فرض عين يكفر جاحدها لثبوتها بالدليل القطعي ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ...﴾ الآية .

وروى أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ فِي جَمَاعَةٍ إِلاَّ أَرْبَعَةً : عَبْدٌ مَمْلُوكٌ ، أَوِ امْرَأَةٌ ، أَوْ صَبِيٌّ ، أَوْ مَرِيضٌ » .

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى الله قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ ؛ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ : تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الله قَد افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي يَوْمِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، مِنْ عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدِي ؛ وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ ؛ اسْتِخْفَافًا بِهَا وَجُحُودًا بِهَا : فَلاَ جَمَعَ الله لَهُ شَمْلَهُ ، وَلاَ بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلاَ وَلاَ صَلاَةَ لَهُ ، أَلاَ وَلاَ زَكَاةَ لَهُ ، أَلاَ وَلاَ حَجَّ لَهُ ، ألا وَلاَ صَوْمَ لَهُ ، ألا وَلاَ بِرَّ لَهُ ؛ حَتَّى يَتُوبَ ، فَمَنْ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ » رواه ابن ماجه ، والطبراني ، والبيهقي على ضعف فيه كما في (المجموع).

التحذير من ترك صلاة الجمعة لغير عذر شرعيٍّ

عن أبي هُرَيْرَةَ وابن عمر رضي الله عنهم ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ على أعواد منبره : « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمْ ـ أي : تركهم ـ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنْ الْغَافِلِينَ » رواه مسلم ،وابن ماجه وغيرهما.

عَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ وكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَرَكَ ثَلاَثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا : طَبَعَ الله عَلَى قَلْبِهِ » رواه أصحاب السنن .

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن ، عن أَبِي قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ الله عَلَى قَلْبِهِ » .

وفي رواية الطبراني : « كُتِبَ مِنَ المُنَافِقِيْنَ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره) رواه أبو يعلى موقوفاً بإسناد صحيح .

* * * *

فضائل صلاة الجمعة

تكفيرها للذنوب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ : غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرى ؛ وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا » رواه مسلم وغيره .

قال النووي : وفي هذا الحديث النهي عن مسِّ الحصى وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة ، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة ، والمراد باللغو هنا الباطل المذموم المردود .اهـ

وتقدم حديث مسلم : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ » يعني : لأن الكبائر تحتاج إلى توبة خاصة .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قَالَ : سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقول : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِه ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فيركَعُ مَا بَدا لَهُ ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَداً ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يُصَلِّي كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخرى » رواه الإمام أحمد ، والطبراني ، وابن خزيمة في (صحيحه) .

صلاة الجمعة تضيء الطريق لأهلها يوم القيامة :

عن أبي موسى الأَشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تُحْشَرُ الأَيَّامُ عَلَى هَيْئَتِهَا ، وَتُحْشَرُ الجُمُعَةُ زَهْرَاء مُنِيْرةً ، أَهْلُهَا يَحُفُّونَ بِهَا كَالعَرُوسِ تُهْدَى إِلَى خِدْرِهَا ، تُضِيءُ لهم يَمْشُونَ فِي ضَوئِهَا ، أَلْوانُهُم كَالثَّلجِ بَيَاضَاً ، وَرِيْحُهُمْ كَالمسْك ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الكَافُورِ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلان ، لاَ يَطْرُقُونَ تَعَجُّباً ـ أي : من حسن منظر أهل الجمعة ـ حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ ، لاَ يُخَالِطُهُم أَحَد إِلاَ المُؤَذِّنُونَ المُحْتَسِبونَ »[١] .

آداب صلاة الجمعة

من آدابها : الاغتسال ، ولبس أحسن الثياب ، والتطيب ، لمَا ورد عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَة ثُمَّ لَبِس من أَحْسَنِ ثِيَابه ، وَمَسَّ طِيبًا إِنْ كَانَ عنْدَهُ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْجُمُعَة وعَلَيْه السَّكِينَةُ ، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدًا وَلَمْ يُؤْذه ، ثم رَكَعَ مَا قُضِيَ لَهُ ، ثُمَّ انْتَظرَ حَتَّى يَنْصَرِفَ الإِمَامُ : غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » رواه أحمد ، والطبراني .

وعن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمعْتُ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُول : « مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ، وَبَكَّرَ

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني ، وابن خزيمة في (صحيحه) . وقال المنذري : إسناده حسن ، وفي متنه غرابة . اهـ

وعزاه السيوطي في (نور اللمعة) إلى الحاكم ، وابن خزيمة ، والبيهقي .

وَابْتَكَرَ ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ ، وَدَنَا مِنْ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ : أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا »(١) .

التبكير إلى صلاة الجمعة حيث لا عذر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » رواه الشيخان وأصحاب السنن .

---

(١) قال المنذري في (الترغيب) : رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وصححه ، والطبراني .
ومعنى : « غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ » قيل : هما سواء في المعنى ، والمراد به التوكيد والحث على الغسل . ولكن الذي حققه الأكثر ومنهم ابن خزيمة كما نقله عنه الحافظ المنذري التفصيل : فمن روى الحديث بصيغة « غَسَل » بالتخفيف « واغتسل » فيراد بالغَسل غسل الرأس والاهتمام بشأنه ، سيما إذا كان شعره طويلاً ، والمراد بالاغتسال : اغتسال سائر الجسد .
ومن روى الحديث بصيغة « غسَّل » بالتشديد « واغتسل » فالمراد بـ (غسَّل) أنه أوجب الغسل على زوجته وذلك بإتيانها ، « واغتسل » بمعنى تعاطى الغُسل العام لسائر جسده .
وأما « بكَّرَ » فقيل : أدرك باكورة الخطبة أي : أولها ، و« ابتكر » بمعنى تقدم في الوقت ، وقيل : « بكَّر » معناه تصدَّق متعجلاً قبل خروجه ، لِمَا ورد « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها » .

وفي رواية لهما : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَت الْمَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ ـ أي :المبكر ـ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ، ثُمَّ كَبْشًا ، ثُمَّ دَجَاجَةً ، ثُمَّ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » .

وجاء في رواية أحمد : قيل لأبي أمامة رضي الله عنه : يا أبا أُمامة ليس لمن جاء بعد خروج الإمام جمعة ؟

فقال : بلى ، ولكن ليس ممن يُكْتب في الصحف .

يعني : أن الكتابة في الصحف على مراتب مختلفة ، كما هي أيضاً مختلفة في رفعها ومنزلتها عند الله تعالى ، فالصحيفة التي يكتب فيها المبادرون إلى الصلاة قبل الخطبة لها شأن ورفعٌ خاصَّان .

ساعة صلاة الجمعة هي أفضل ساعاتها وفيها الإجابة :

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ لِي عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ ؟.

قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، سَمعتُهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ : « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ ـ يعني على المنبر ـ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ » رواه مسلم وغيره .

قال المنذري : وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم . اهـ

يعني أن تعيين ساعة الإجابة قد اختلف فيه العلماء ، ولكلٍّ دليله ، وقد بسط الحافظ ابن حجر تلك الأقوال مفصلة .

ومن أقواها : أنها حين تقام صلاة الجمعة إلى الانصراف منها كما تقدم ، وقد روى الترمذي وابن ماجه ، عن عَمرو بن عوف رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لاَ يَسْأَلُ الله الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلاَ آتَاهُ الله إِيَّاهُ » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ ؟

قَالَ : « هي حِينَ تُقَامُ الصَّلاَةُ إِلَى الانْصِرَافِ مِنْهَا » .

ومنها : أنها بعد صلاة العصر ، لِمَا ورد عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الْتَمِسُوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرْجَى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صلاة الْعَصْرِ إِلَى غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ » رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

وعن جابر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً ، لاَ يُوجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله عز وجل شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ إِيَّاهُ ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ » رواه أبو داود والنسائي واللفظ له .

ومنها : أنها تبدأ من حين تدَلِّي الشمس للغروب ، إلى أن يتكامل غروبها ، لِمَا روى الطبراني ، والبيهقي بالسند المتصل ، إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالتْ : قلتُ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أيُّ ساعةٍ هيَ ؟ ـ أي : ساعة الإجابة ـ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا تَدَلَّى نِصْفُ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ » .

فكانت السيدة فاطمة رضي الله عنها إذا كان يوم الجمعة أرسلت غلاماً لها يقال له : زيد ينظر لها الشمس ، فإذا أخبرها أنها تدلَّتْ للغروب أقبلت على الدعاء إلى أن تغيب . اهـ كما في (فتح الباري) .

قال المنذري في (الترغيب) : قال الحافظ أبو بكر بن المنذر : اختلفوا ـ أي : الصحابة والتابعون فمن بعدهم ـ في وقت الساعة التي يستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة ، فروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : هي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومِنْ بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس .

وقال الحسن البصري وأبو العالية : هي عند زوال الشمس ، وفيه قول ثالث وهو: أنه إذا أذَّن المؤذن لصلاة الجمعة ، رُوِيَ ذلك عن عائشة رضي الله عنها .

وروينا عن الحسن البصري أنه قال : هي إذا قعد الإمام على المنبر حتى يفرغ .

وقال أبو بردة : هي الساعة التي اختار الله تعالى فيها الصلاة .

وقال أبو السِّوار العَدَوي : كانوا يرون الدعاء مستجاباً ما بين أن تزول الشمس إلى أن يُدخل في الصلاة .

قال : وفيه قول سابع ، وهو أنها ما بين أن تزيغ ـ أي : تُشرق ـ الشمس بشبرٍ إلى ذراع . وروينا هذا القول عن أبي ذر رضي الله عنه .

قال : وفيه قول ثامن ، وهو أنها ما بين العصر إلى أن تغرب الشمس كذا قال أبو هريرة رضي الله عنه ، وبه قال طاووس وابن سلام رضي الله عنهم والله أعلم . اهـ .

وقال بعض العلماء : إنها مجملة في ساعات يوم الجمعة ليلتمسها قاصدها طيلة النهار .

ومن آداب صلاة الجمعة : أن يكثر بعدها من الدعاء ، وذكر الله تعالى ، فيأتي بالأوراد والأدعية المطلوبة وراء الصلوات . كما سيأتي في هذا الكتاب ، ويأتي بما ورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : (من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوِّذتين ، والحمد : سبعاً سبعاً حُفظ من مجلسه ذلك إلى مثله) . رواه أبو عبيد وابن الضُّرَيْس .

وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال : من قرأ فاتحة الكتاب والمعوِّذتين و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سبع مرات يوم الجمعة ، قبل أن يتكلم ، كُفِّرَ عنه ما بين الجمعتين وكان محفوظاً .

وأخرج ابن زنجويه عن ابن شهاب قال : من قرأ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يُسَلِّمُ الإمام قبل أن يتكلم سبعاً سبعاً كان مضموناً ـ أي : في ضمان الله تعالى ـ هو وماله وولده من الجمعة إلى الجمعة .

والحنفي يأتي بهذه الأوراد بعد سنة صلاة الجمعة البعدية .

ودعاءُ الإمام الغزالي رضي الله عنه : اللهم يا غنيٌّ ياحميد ، يا مُبدئُ يا مُعيد ، يا رحيم يا وَدود : أغنني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ـ ثلاثاً بعد صلاة الجمعة . فيه خير كثير .

وينبغي للمسلم أن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة وليلتها ، لأنَّ لها فضلاً خاصلاً كبيراً ، وعرضاً خاصاً على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فيه خَلَقَ الله آدَمَ ، وَفِيه قُبِض ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا مِنْ الصَّلاَةِ عَلَيَّ فِيه ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » .

قَالُوا : وكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ (١) ؟ ـ أي : بَلِيتَ بعد الموت ـ .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ » قال المنذري : رواه أحمد ، وأبو داود والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلاَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاَتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ».

قَالَ : قُلْتُ : وَبَعْدَ الْمَوْتِ ـ أي : هل تعرض صلاتنا عليك يارسول الله بعد الموت ـ ؟.

فقَالَ : « إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عليهم الصلاة السلام » رواه ابن ماجه بإسناد جيِّد .

---

(١) قال المنذري : أرمت بفتح الهمزة والراء وسكوت الميم ، وروي بضم الهمزة وكسر الراء .اهـ

وروى البيهقي وغيره ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الغَرَّاء واليَومِ الأَزْهَر : لَيْلَةِ الجمُعَةِ وَيَومِ الجَمُعَة » .

قال بعض العارفين رضي الله عنهم : أقلُّ حدِّ الإكثار ثلاثمائة أو أربعمائة .

كما وأنه ينبغي للمسلم أن يقرأ السُّوَر التي نَدَبَ إليها وبَيَّنَ فضلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الجمعة وليلتها .

ومن ذلك ما ورد عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَومَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجمُعَتَيْنِ » رواه النسائي والبيهقي مرفوعاً ، ورواه الدارمي في (مسنده) موقوفاً على أبي سعيد ولفظه قال : (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَومَ الْجُمُعَةِ سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إلى عَنَانِ السَّمَاءِ ، يُضِيءُ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ ، وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الجمعَتَيْنِ » قال المنذري : رواه ابن مَرْدُويه بإسناد لا بأس به .

وَرُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَرَأَ ﴿حمٓ﴾ الدُّخَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ » .

وفي رواية : « مَنْ قَرَأَ ﴿حمٓ﴾ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك » قال المنذري : رواه الترمذي ، والأصبهاني ولفظه : « مَنْ صَلَّى بِسُورَةِ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ بَاتَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » .

ورواه الطبراني والأصبهاني أيضاً ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ولفظهما : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَرأَ ﴿حمٓ﴾ الدُّخَانَ في لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أو يَوم الْجُمُعَةِ بَنَى الله لَهُ بَيْتاً فِي الجنَّةِ » .

وَرُوِيَ عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَرأَ سُورَةَ ﴿يسٓ﴾ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ » رواه الأصبهاني .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « مَنْ قَرأَ السُّوْرَةَ التَّي يُذْكَرُ فِيها آل عِمْرانَ يَومَ الجُمُعَةِ صَلَّى عَلَيْهِ الله ومَلاَئِكَتُه حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ » رواه الطبراني في (الأوسط والكبير) .

وينبغي للمسلم أن يكثر من الطاعات والعبادات القولية والعملية والمالية في يوم الجمعة ، لأنَّ الحسنات تضاعف يوم الجمعة ، فقد روى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « تُضَاعَفُ الحَسَنَاتُ يَومَ الجُمُعَةِ » .

ولهذا الحديث شواهد متعددة في المتون والأسانيد ، ومما يؤيِّد ذلك أن يوم الجمعة له فضل على غيره من الأيام ، لِمَا ثبت في السنة ، فحقيق بالحسنات فيه أن تَفضل وتضاعف .

فمِمَّا ورد في فضل يوم الجمعة على غيره :

ما جاء عن أبي لبابة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ الله ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ الله مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ ، فِيه خَمْسُ خِلاَلٍ :

خَلَقَ الله فيه آدَمَ ، وأَهْبَطَ الله فيه آدَمَ إلى الأَرْضِ ، وَفِيهِ تَوَفَّى الله آدَمَ ، وَفيه سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ الله فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إلاَ أَعْطَاهُ إيـاه ؛ مَـا لَـمْ يَسْأَلْ حَرَامًا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، مَـا مِـنْ مَلَـكٍ مُقَـرَّبٍ ، وَلاَ سَـمَاءٍ ، وَلاَ أَرْضٍ ، وَلاَ رِيَـاحٍ وَلاَ جِبَـالٍ وَلاَ بَحْـرٍ ؛ إِلاَ وَهُـنَّ يُشْـفِقْنَ مِـنْ يَـوْمِ الْجُمُعَةِ » رواه أحمد ، وابن ماجه .

وعن أبي هريرة رضـي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم : « خَيْـرُ يَـوْمٍ طَلَعَـتْ عَلَيْـه الشَّـمْسُ يَـوْمُ الْجُمُعَـةِ ، فِيهِ خَلَقَ الله آدَمَ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيـهِ أُخْـرِجَ مِنْهَـا » رواه مسـلم وأصحاب السنن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عـن الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسلم أنه قال : « لاَ تَطْلُعُ الشَّـمْس ولاَ تَغْـرُبُ عَلَـى أَفْضَـلَ مِـنْ يَـومِ الجُمعةِ ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إلاَ وَهِيَ تَفْزَعُ يومَ الجُمُعَـةِ إلاَ هَـذَيْنِ الثَّقَلَـيْنِ : الجِنَّ والإِنْسَ » رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، وأبـو داود بلفظ : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إلاَ وَهِيَ مُصيخَةٌ » أي : مُصْغية « يَومَ الجُمُعَةِ مِـنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ؛ شَفَقاً مِنَ السَّاعَةِ إلاَ الإِنْسَ والْجِنَّ » .

ويوم الجمعة هو يوم المزيد الذي يتجلَّى فيـه ربُّ العـزَّة بـالتَجلي العام على أهل الجنة بالرؤيـة فينظـرون إليـه : قـال الله تعـالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ .

روى البزار وغيره ، عـن أنـس رضـي الله عنـه في قولـه تعـالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال : (يتجلىٰ لهم الربُّ عزَّ وجلَّ كُلَّ جمعة) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَتَانِيْ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلاَم وَفِي يَدِهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ فِيْهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ .

فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ يَاجِبْرِيْلُ ؟

قَالَ : هَذه الجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتكُونَ لَكَ عِيْداً وَلِقَومِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، تَكُونُ أَنْتَ الأَوَّلُ ، وَتَكُونُ اليَهُودُ والنَصَارَى مِنْ بَعْدِكَ .

قال : مَا لَنَا فِيْهَا ؟

قال : فِيْهَا خَيْرٌ لَكُمْ ، فيْهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا رَبَّهُ فيْهَا بخَيْرٍ هُوَ لَهُ قُسِمَ إلاَ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقَسمٍ إلاَ ادّخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ منْهُ ، أَوْ تَعَوَّذَ فيْهَا مِنْ شَرٍّ هُوَ عَلَيْهِ مكْتُوبٌ إلاَ أَعَاذَهُ ، أَوْ لَيْسَ عليه مَكْتُوبٌ إِلاَّ أَعَاذَهُ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ .

قُلْتُ : مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيْهَا ؟

قَالَ : هَذِهِ السَّاعَةُ تَقُومُ يومَ الجُمُعَةِ ، وَهُوَ سيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنَا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الآخِرَةِ يوم المَزِيْدِ... » الحديث .

قال المنذري : رواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني بإسنادين أحدهما جيد قوي، وأبو يعلى مختصراً ورواته رواة الصحيح، والبزار واللفظ له.

* * * *

دعاء الذاهب إلى المسجد

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلاَةِ فَقَالَ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلاَ بَطَرًا وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً ، وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنْ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ » . ـ وفي رواية أخرى:«أَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنْ النَّارِ وَتُدْخِلَنِي الجَنَّةَ» ـ «إِلا وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَقْضِيَ صَلاَتَهُ » رواه ابن ماجه ، وابن السني وغيرهما .

وروى مسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة وهو يقول : « اللهم اجْعَل فِي قَلْبِيْ نُوراً ، وَفِيْ لِسَانِي نُوراً ، وَاجْعَل فِي سَمْعِيْ نُوراً ، وَاجْعَل فِي بَصَرِيْ نُوراً ، وَاجْعَل مِنْ خَلْفِي نُوراً ، وَمِن أَمَامِي نوراً ، وَاجْعَل مِنْ فَوْقِي نُوراً ، وَمِنْ تحتي نُوراً ، اللهم أَعْطِنِي نُوراً » .

وفي رواية : « وعَنْ يَمِيْنِي نُوْراً ، وعَنْ شِمَالِيْ نُوراً ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُوراً ، واجْعَلْ فِي نَفْسِي نُوراً ، وَأَعْظِمْ لِي نُوْراً » .

ما يقول إذا دخل المسجد أو خرج منه

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ : « أَعُوذُ بِالله الْعَظِيمِ ، وَبِوَجْهِه الْكَرِيم ، وَسُلْطَانه الْقَدِيمِ ، مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » قَالَ : « فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ : حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ » رواه أبو داود .

وعن فاطمة بنت الحسين رضي الله عنها ، عن جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ **إِذَا دَخَلَ** الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَقَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » .

وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، وَقَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ » رواه الترمذي .

* * * *

ما يقول عند الأذان والإقامة وبينهما

وعند أذان المغرب

عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي أن تكون إلاَّ لعَبْدٍ منْ عبَادِ الله ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ الله لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ » رواه مسلم وغيره .

وكيفية دعاء الوسيلة كما جاء في البخاري ، عن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ ـ وفي رواية البيهقي : « إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيْعَاد » ـ إِلاَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وروى مسلم ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِالله رَبَّاً ، وَبِالإِسْلاَمِ دِيْناً ، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم رَسُولاً غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ » وفي رواية : « غَفَرَ الله لَهُ ذُنُوبَهُ» .

وروى ابن السني ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا سَمِعْتُم المُؤَذِّنَ يُؤَذِّنُ فَقُولُوا : اللهم افْتَحْ أَقْفَالَ قُلُوبِنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ مِنْ فَضْلِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ » .

ويجيب سامع الأذان والإقامة مثل ما يسمع ، إلا في قوله : حيَّ على الصلاة ، وحيَّ على الفلاح ، فإنه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واستحسن جمع من العلماء رضي الله عنهم أن يأتي بالحيعلتين وبالحوقلة ، ويقول : اللهم اجعلنا مفلحين .

ويقول عند سماع الصلاة خير من النوم : صدقتَ وبَرِرتَ ، أو يقول : صدق رسول الله ، الصلاة خير من النوم .

ويقول عند سماع قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها ما دامت السماواتُ والأرض ، وجعلني من صالحي أهلها .

ويقول أيضاً ـ زيادة على ما سبق ـ عند أذان المغرب : ما روى الترمذي ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : عَلَّمَنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنْ أَقُولَ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ : « اللهمَّ هَذَا وَقْتُ إِقْبَالِ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ ، وَحُضُورِ صَلَوَاتِكَ فَاغْفِرْ لِي » .

فيطلب عند الأذان الإصغاء للأذان والاستماع له ، فإن ذلك عبادة ، ولا ينبغي التشاغل عن سماع الأذان فإنه صفة الشياطين ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ ؛ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ ، فَإِذَا قُضِيَ الأَذَانُ أَقْبَلَ ، فَإِذَا ثُوِّبَ ـ أي : أقيم للصلاة ـ أدبَرَ... » الحديث رواه البخاري ومسلم .

كما يُطلب إجابة المؤذن كما ذكرنا فإنها طاعة لها شأنها ، كما روى مسلم وغيره ، عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ : الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ : الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، قَالَ ـ أحدكم ـ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، ثُمَّ قَالَ ـ المؤذن ـ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، قَالَ ـ أي : أحدكم ـ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، ثُمَّ قَالَ : حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ ، قَالَ ـ أي : أحدكم ـ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله ، ثُمَّ قَالَ : حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ ، قَالَ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله ، ثُمَّ قَالَ : الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ ، قَالَ : الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مِنْ قَلْبِهِ : دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

كما يُطلب من المسلم أن يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذان ، كما يَسأل الله تعالى له الوسيلة كما تقدم في الحديث ، ثم يدعو الله تعالى بما شاء فإنه مجاب ، لمَا ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُول الله إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا ـ أي : يزيدون علينا في الفضل بسبب ثواب الأذان ـ .

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : « قُلْ كَمَا يَقُولُونَ ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ » أي : فادع الله تعالى بما شئتَ تعطه .رواه أبو داود والنسائي .

وعن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يُنَادِي الْمُنَادِي ـ أي : المؤذن ـ : اللهمَّ رَبَّ هَذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلاَةِ النافعة ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَارْضَ عني رِضاً لاَ سَخَطَ بَعْدَهُ : اسْتَجَابَ الله لَهُ دَعْوَتَهُ » رواه الإمام أحمد ، والطبراني .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « سَاعَتَانِ تُفْتَحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَقَلَّمَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ : عِنَدَ حُضورِ النِّدَاءِ ـ أي : الأذان ـ وَالصَّفِّ فِي سَبِيلِ الله » . رواه أبو داود .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « إِذَا نَادَى المُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاء واستُجِيْبَ الدُّعَاءُ ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّة فَلْيَتَحَيَّنِ المُنَادِيْ ، فَإِذا كَبَّرَ كَبَّرَ ، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ ، وَإِذَا قَال : حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ ، قَال : حَيَّ عَلَى الصَّلاَة ، وَإِذَا قَال : حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ ، قَال : حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ التَّامَّة الصَّادِقَة المُسْتَجَابَة المُسْتَجَابِ لَهَا ، دَعْوَةِ الحَقِّ وكَلِمَةَ التَّقْوى ، أَحْيِنَا عَلَيْهَا ، وَأَمِتْنَا عَلَيْهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا ، أَحْيَاءً وأَمْوَاتَاً ، ثُمَّ يَسأَلُ الله حَاجَتَهُ » رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وروى الترمذي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ لاَ يُرَدُّ » .

قالوا : فماذا نقول يا رسول الله ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « سَلُوا الله العَافِيَةَ فِيْ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » .

* * * * *

ما جاء في دعاء الركوع والرفع منه والسجود وبين السجدتين

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سُبْحَانَكَ اللهم وَبِحَمْدِكَ ، اللهم اغفِرْ لِيْ » يَتَأولُ القُرْآنَ) متفق عليه . أي : يعمل بموجب قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ .

وروى مسلم عنها رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ قَالَ : « اللهمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَات ، وَملْءَ الأَرْضِ ، وَملْءَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَملْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاء وَالْمَجْدِ ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ ، وكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ ، اللهم لاَ مَانعَ لمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، ولاَ رادَّ لِمَا قَضَيْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » رواه مسلم .

وروى مسلم ، في حديث علي رضي الله عنه ، عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا ركع يقول في ركوعه : « اللهمَّ لَكَ رَكَعْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي » .

وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ يقُولُ : « سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ؛ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » .

وَإِذَا سَجَدَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ : « اللهمَّ لَكَ سَجَدْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

وروى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِن ربه وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » .

ورَوى عنه أيضاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ : « اللهمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ » .

وروى مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ في سجوده : « اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بين السجدتين : « اللهمَّ اغْفِرْ لِي ، وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي ، وَعَافِنِي ، وَارْزُقْنِي » رواه أبو داود .

وفي رواية الترمذي : « وَاجْبُرْنِي » بدل : « وَعَافِنِي » ، وزاد ابن ماجه : « وارْفَعْنِي » .

* * * * *

الدعاء في آخر الصلاة

روى الشيخان ، أن أبا بكر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « قُلْ : اللهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ـ وفي رواية (المسند) : «كَبِيراً» ـ وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنْ أَربَعٍ ـ أي : بعد الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ـ يَقُولُ : اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ » متفق عليه .

وعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله: وسلم إذا قام إلى الصلاة ، يكون مِنْ آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَ أَنْتَ » رواه مسلم .

ما جاء من الأدعية والأذكار وراء الصلوات

روى مسلم ، عن ثَوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا سَلَّمَ ـ أي : من الصلاة ـ يستغفر ثلاثاً

ويَقُولُ : « اللهمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ »[1] .

وروى ابن السنِّي ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنِ اسْتَغْفَرَ الله دُبُرَ كُلِّ صَلاة ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَقَال : أَسْتَغْفِرُ الله الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ : غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ؛ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ » .

وعن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ ـ أَوْ فَاعِلُهُنَّ ـ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ : ثَلاَثٌ وَثَلاَثُونَ تَسْبِيحَةً ، وَثَلاَثٌ وَثَلاَثُون تَحْمِيدَةً ، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ تَكْبِيرَةً » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ سَبَّحَ الله تعالى فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَحَمِدَ الله ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وكَبَّرَ الله ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، فَذَلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ : لاَ إِلَهَ إِلاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه مسلم .

وفي (الصحيحين) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في

---

(١) والأئمة الحنفية يستحبون إلحاق السنة البعدية بالفرض ، وأن لا يفصل بينهما بأكثر من : « اللهم أنت السلام » إلى تمام الحديث ، لِمَا ورد في مسلم ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سلم لا يقعد إلا مقدار : « اللهم أنت السلام ومنك السلام...» الحديث .

دبر كل صلاة إِذَا سَلَّمَ : « لاَ إِلَه إِلاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ـ زاد الطبراني : « يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لاَيَمُوتُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ » ـ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ـ وفي رواية النسائي وأحمد :أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقولُ ذلك ثلاث مرات ـ اللهمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » .

وروى مسلم ، عن ابن الزبير رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سَلَّمَ يقول بعد الصلاة : « لاَ إِلَه إِلاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَ بالله ، لاَ إِلَه إِلاَ الله وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الجميل ، لاَ إِلَه إِلاَ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

وَعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَرَأَ آية الكرسِيِّ فِيْ دُبُرِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ كَانَ فِيْ ذِمَّةِ الله تعالى إِلَى الصَّلاَةِ الأُخْرَى » .

قال العلامة المنذري : رواه الطبراني بإسناد جيد .

وروى أبو داود ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : أَمَرَنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي : المعوِّذات :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتان ، وغلَّبَهُمَا عَلَيْها لِكَوْنِهِمَا أَكْثَرَ .

وروى النسائي ، عَنْ معاذ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : « يَا مُعَاذُ وَالله إِنِّي لأُحِبُّكَ » .

فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ يَارَسُولَ الله ، وأَنَا والله أُحِبُّكَ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ أن تَقُولَ : اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » .

وقد وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدعية كثيرة كان يدعو بها وراء الصلوات ، فعليك بها اتباعاً له صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنت تعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم مُعَلِّم الخير والدال على كل سعادة ، وأنَّ أدعيته جامعة لسعادة الدنيا والآخرة .

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الدعاء عَقِبَ الصَلوات لا يردُّ ، كما في (سنن) الترمذي ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ ؟

قالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « جَوفَ الليْلِ ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ » .

وذلك لأن الصلاة عبادة عظيمة جامعة لأنواع من العبادات ، والدعاء وراء العبادات مجاب ، كما ثبت ذلك في قواعد الشريعة .

وإليك جملةً من الأدعية الواردة بعد الصلوات سوى ما تقدَّم :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أنه كان يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ الخَمْسِ ـ وفي رواية كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلاَءِ الخَمْس ـ وَيَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ دُبُرَ ـ أي : عقب ـ الصَّلاَةَ : « اللهمَ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ ، وَأَعُوْذُ بِكَ أَنْ أَرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ،

وعَذَابِ الْقَبْرِ » رواه البخاري في مواضع مختلفة في التقديم والتأخير .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : كـان رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ ورَاءَ كُلِّ صَلاَةَ :

« اللهمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، اللهمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، اللهمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ ، اللهمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ من الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ، اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ .

الله الأَكْبَرُ الله الأَكْبَرُ ، الله نُورُ السماوات وَالأَرْضِ ، الله الأَكْبَرُ ، حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، الله الأَكْبَرُ ، الله الأَكْبَرُ » رواه أبو داود والنسائي ، وأحمد .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ مَسَحَ بِيَمِينِهِ عَلَى رَأْسِهِ - وفي رواية : عَلَى جَبْهَتِهِ - وَقَالَ : « بِسْمِ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، اللهمَّ أَذْهِبْ عَنِّي الْهَمَّ وَالحَزَنَ » وَيُرْوَى : « أَذْهِبِ عَنِّيْ الغَمَّ والحَزَنَ » رواه الطبراني برجال ثقات .

ورُوِي عن أنس رضي الله عنه قال : ما صلى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم صَلاَةً مكْتُوبَةً قَطُّ إلاَّ قَالَ حِيْنَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ : « اللهمَّ إِنِّيْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يُخْزِيْنِيْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ يُرْدِيْنِيْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ يُلْهِيْنِي ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ فَقْرٍ يُنْسِيْنِي ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ غِنىً يُطْغِيْنِي » رواه أبو يعلى .

وعن صُهيب رضي الله عنه قال : كان رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم يقول إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاَة : « اللهمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّـذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ آخِرَتِيْ الَّتِي فِيْهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَـاةَ زِيَـادَةً لِـي فِـي كُـلِّ خَيْـرٍ ، وَاجْعَـلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ .

اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَـاكَ مِـنْ سَـخَطِكَ ، وَبِعَفْـوِكَ مِـنْ نِقْمَتِـكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، اللهم لاَ مَانِـعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْـتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »[1] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم يقول بعد ما يُسلِّمُ : « ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾» رواه أبو يعلى .

الأذكار الواردة بعد الصبح والعصر والمغرب زيادةً على ما يطلب وراء الصلوات

عن أبي ذر رضي الله عنـه ، أن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم قال : « مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَـلاَةِ الْفَجْـرِ وَهُـوَ ثَـانٍ رِجْلَيْـهِ قَبْـلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ : لاَ إله إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ـ عَشْرَ مَـرَّاتٍ : كَتَـبَ الله لَـهُ عَشْـرَ

(١) رواه النسائي ، وصححه ابن حبان ، ونحوه في صحيح مسلم ، ولكن ليس فيـه أنه كان يقول إذا انصرف من صلاته صلى الله عليه وآله وسلم .

حَسَنَات ، وَمَحا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَات ، وَرَفِعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَات ، وكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحُرِسَ مِنْ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ إِلاَّ الشِّرْكَ بِاللهِ تَعَالَى » رواه الترمذي وقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ،ورواه النسائي بزيادة : « مَنْ قَالَهُنَّ حِيْنَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ أُعْطِيَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي لَيْلَتِهِ » .

وعن الحارث بن مسلم التميمي رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ** فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ : اللهمَّ أَجِرْنِي مِنْ النَّارِ ـ سبع مرات ، فَإِنَّكَ إِنْ متَّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ الله لَكَ جِوَارًا مِنْ النَّارِ . **وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ** فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ : اللهمَّ أَجِرْنِي مِنْ النَّارِ ـ سبع مرات ، فَإِنَّكَ إِنْ متَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ الله لَكَ جِوَارًا مِنْ النَّارِ» رواه النسائي وأبو داود .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَالَ حِيْنَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ ـ أي : الفجر ـ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ـ عشر مرات أُعْطِيَ بِهِنَّ سَبْعًا : كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ بهن عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وكُنَّ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ نَسَمَاتٍ ـ وفي رواية ابن حبان : « وكُنَّ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ » ـ وكُنَّ لَهُ حِفْظًا مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَحِرْزًا مِنَ المَكْرُوهِ ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ في ذَلِكَ اليَومِ ذَنْبٌ إِلاَّ الشِّرْكُ بِالله . وَمَنْ قَالَهُنَّ حِيْنَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ المَغْرِبِ أُعطِيَ مِثْلَ ذَلِكَ لَيْلَتَهُ » قال المنذري : رواه الطبراني بإسناد حسن . اهـ وله شواهد كثيرة .

وروى أحمد ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَا قَبِيصَةُ إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ ثَلاثًا : سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، تُعَافَى مِنَ الْعَمَى وَالْجُذَامِ وَالْفَلَجِ » .

فضل جلوس المصلي بعد صلاة الصبح والعصر يذكر الله تعالى

عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال : (كَانَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الفجر تربَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حتى تطلع الشمس) رواه مسلم وأصحاب السنن ، والطبراني ولفظه : (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الصبح جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس) .

وبيَّن صلى الله عليه وآله وسلم فضائل ذلك : فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذكُرُ الله حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلى رَكْعَتَيْنِ : كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ » رواه الترمذي وحسنَّه .

وللطبراني بسند جيِّد : « مَنْ صَلَّى صلاة الغَدَاةِ فِي جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ جَلَسَ يَذكُرُ الله حَتَى تَطلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلى رَكْعَتَيْنِ : انْقَلَبَ بِأجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ » .

وفيه غَفْرُ الخطايا : فعن معاذ رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلاَّهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ - أي : يصلي - رَكْعَتَيِ الضُّحَى لاَ يَقُولُ إِلاَّ خَيْراً : غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه أحمد وأبو داود .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لأَنْ أَقْعُدَ أَذْكُرُ الله تعالى وَأُكَبِّرُهُ وَأَحْمَدُهُ وَأُسَبِّحُهُ وَأُهَلِّلُهُ ؛ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ : أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ رَقَبَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ : أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَ رَقَبَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » قال المنذري : رواه أحمد بإسناد حسن .

فضل الجلوس بعد الصلوات
وانتظار الصلاة بعد الصلاة

روى البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ ، وَالْمَلاَئِكَةُ تَقُولُ : اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهم ارْحَمْهُ ؛ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ مُصَلاَّهُ أَوْ يُحْدِثْ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ » ؟

قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله .

قَالَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ـ يعني : إكمال الوضوء على الوجه المسنون في حالة مشقة كبردٍ ونحوه ـ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ » رواه مسلم وأصحاب السنن .

والرباط هو : الإقامة على ثُغور الأعداء لردِّ كيدهم المترقَّبِ منهم . وهذا يشمل الإقامة على العبادة ، والجلوس بعد الصلاة لانتظار الصلاة ، لأنّ في ذلك مقاومة كيد النفس الأمَّارة ، وشيطانها القرينِ لها ؛ المزيِّنِ لها المخالفةَ ، كما روى مسلم ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنَ أَحَدٍ إِلاَ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ » .

قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ؟.

قَالَ : « وَإِيَّايَ ، إِلاَّ أَنَّ الله تعالى أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلاَ يَأْتِينِي إِلاَّ بِخَيْرٍ » .

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ العبد إِذَا جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ بَعْدَ الصَّلاَةِ : صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ ، وَصَلاَتُهُمْ عَلَيْهِ : اللهم اغْفِرْ لَهُ ، اللهمَّ ارْحَمْهُ » . رواه أحمد .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ثَلاَثٌ كَفَّارَاتٌ ، وَثَلاَثٌ دَرَجَاتٌ ، وَثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ :

فَأَمَّا الكَفَّارَاتُ : فإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ - أي :شدة البرد - وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعدَ الصَّلاَةِ ، وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ .

وَأَمَّا الدَّرَجَاتِ : فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلاَمِ ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَاسُ نِيَامٌ .

وَأَمَّا المُنْجِيَاتِ : فَالعَدْلُ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالقَصْد - أي : التوسط - فِي الفَقْرِ وَالغِنَى ، وَخَشْيَةُ الله فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ .
وَأَمَّا المُهْلِكَاتِ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ » .

قال المنذري : رواه البزار واللفظ له ، والبيهقي وغيرهما ، وهو مرويٌّ عن جماعة من الصحابة ، وأسانيده وإن كان فيها مقال فهو بمجموعها حسن .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صَلاَةٌ فِي إِثْرِ صَلاَةٍ لاَ لَغْوَ بَيْنَهُمَا : كِتَابٌ فِي عِلِّيِّيْنَ » رواه أبو داود .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ - أي : أقام عقب الصلاة - فَجَاءَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مُسْرِعًا قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ - أي : تعب من سرعة المشي - .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « أَبْشِرُوا ، هَذَا رَبُّكُم قَدْ فَتَحَ لَكُم بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، ويُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً - أي : المغرب - وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى » أي : العشاء الآخرة . رواه ابن ماجه .

ومن هنا يتبين لك فضل إحياء ما بين العشاءين بالصلاة والعبادة ، وفضل إحياء ما بين الطلوعين - أي : طلوع الفجر إلى طلوع الشمس - بذكر الله تعالى ، فاحرِص عليهما ولا تتشاغل عنهما .

ومما ورد في فضل الجلوس بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات ونحو ذلك : الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه ، عن ابن

عباس رضي الله عنهما ، ورواه أحمد عن معاذ رضي الله عنه ، ورواه عبد الرزاق ، وَعَبْدُ بن حميد ، ومحمد بن نصر ، والطبراني في (السنة) وغيرهم ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رَبَّ العِزَّةِ فقال : « لَبَّيْكَ رَبِّيْ وَسَعْدَيْكَ .

قال : فِيْمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعَلَى »؟

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : « لاَ أَعْلَم » .

فَيَتَجَلَّى رَبُّ العِزَّةِ بِإِفَاضَةِ الْعُلُوْمِ وَالمَعَارِفِ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم كما في رواية الترمذي : « فَعَلِمْتُ مَا فِيْ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيْ الأَرْضِ » .

وفي رواية (المسند) : « فَتَجَلَّى لِيْ كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ » .

يعني : أنه صلى الله عليه وآله وسلم نال الاطلاع على ما هنالك عن طريق الرؤية والشهود ، وعن طريق العلم والمعرفة .

وفي رواية الطبراني : « فَعَلَّمَنِيْ كُلَّ شَيْءٍ » .

وفي رواية له أيضاً : « فَمَا سَأَلَنِيْ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ عَلِمْتُهُ » .

ثم قال الله تعالى : « يَا مُحَمَّدُ فِيْمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى ؟

قَالَ : قُلْتُ : فِي الكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ ، قَالَ : وَمَا الكَفَّارَاتُ ؟

قُلْتُ : نَقْلُ الأَقْدَام إِلَى الجُمُعَاتِ ـ وفي رواية : « إِلَى الجماعات » أي : جماعة الصلاة والعبادة ـ وَالجُلُوسُ فِيْ المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وإِسْبَاغُ الوُضُوءِ عِنْدَ الكَرِيْهَاتِ » وفي رواية الترمذي : « السَّبَرَاتِ » أي : شدَّة البرد .

« قَالَ : وَمَا الدَّرَجَاتُ ؟

قُلتُ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وإِفشَاءُ السَّلامِ ـ وفي رواية : « وَلِيْنُ الكَلاَمِ » ـ وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ .

وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وكَانَ من ذُنُوبِهُ كَيَومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .

قال : يَا مُحَمَّدُ سَلْ .

قُلْتُ : اللهم إِنِّي أَسَأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِيْ وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدتَ فِتْنَةً فِيْ قَومٍ فَتَوَفَّنِي إِلَيكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ » .

قال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن حدَّثَ الصحابة بذلك : « تَعَلَّمُوهُنَّ وَادْرُسُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ » .

أما اختصام الملأ الأعلى في الكفارات والدرجات : فإن الكفارات شأنها أنها سِتَارات ، ووقايات لصاحبها من عقوبات مخالفة الأوامر وارتكاب المناهي .

وأما الدرجات : فشأنها أن ترفع المنازل وتُعلي المقامات .

فالملأ الأعلى يبحثون في الكفارات والدرجات من الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة على اختلاف أنواعها : القلبية والبدنية والمالية والحالية ، وهناك يتكلمون في آثارها ومقتضياتها ، فيجري بينهم لدى

بحثهم فيها اختلاف في أيِّها أحبُّ إلى الله تعالى ، وأيِّها أعظم درجة عنده ، وأيها أكثر ثواباً .

ثم الكفارات : ماذا تكفِّر من آثام ، وماذا تَقِي من عقوبات وبليَّات مسبَّبةٍ عن المخالفات ، فيجري التقاول في ذلك ، ثم يُرْفع الأمر إلى ربِّ العزة ليحكم حكمه في ذلك ، وهو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين .

والبحث في الكفارات والدرجات واسعٌ ، وفيما ذكرناه بعض الكفاية .

فوائد :

إذا صليت الوتر فأتِ بما ورد عن علي كرم الله تعالى وجهه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في آخر وتره : « اللهمَّ إني أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ . أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » رواه أصحاب السنن .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقْرَأ فِي الأولى من الوتر بـ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ وفي الثانية : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وفي الثالثة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وكان إذا سلم قال : « سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ ـ ثلاثاً » يُطيل في آخرهنَّ .

إذا صليت الصبح فادعُ بما ورد عن قَبيصَة بن المُخارق قال : أَتَيْتُ النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ » ؟

فَقُلْتُ : كَبُرَتْ سِنِّي ، وَرَقَّ عَظْمِي ، فَأَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي الله تعالى بِهِ .

فقَالَ : « يَا قَبِيصَةُ مَا مَرَرْتَ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ وَلاَ مَدَرٍ إِلاَّ اسْتَغْفَرَ لَكَ ـ أي : لأنك خرجت من بيتك بقصد العلم ـ .

يَا قَبِيصَةُ أَمَّا لِدُنْيَاكَ فَإِذَا صَلَّيْتَ الصبح فَقُلْ ثَلاَثًا : سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ : أَمِنْتَ مِنَ الْعَمَى وَالْجُذَامِ والبرص وَالْفَالِجِ .

وَأَمَّا لآخِرَتِكَ فَقُلْ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِمَّا عِنْدَكَ ـ وفي رواية : « اللهم اهْدني مِنْ عِنْدِكَ » ـ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِن رَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَلْبِسْنِي أَثْوَابَ عَافِيَتِكَ » رواه أحمد مختصراً بسند فيه مبهم ، وابن السني ، والطبراني ، وابن أبي الدنيا . وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لَئِنْ وَافَى بِهِنَّ عبد ـ بأن لم يتركهنَّ ـ حتى جاء بهن يَومَ القِيَامَةِ : لَتُفَتَّحَنَّ عَلَيْهِ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شَاءَ » اهـ كما في (الترغيب) و(شرح الإحياء) .

اقرأ وراء الصلوات المكتوبة سورة الفاتحة ، وآية الكرسي ، وآية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ثم قل : وأنا على ذلك ياربِّ من الشاهدين .

واقرأ آية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ (٢٦) تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ

﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، فإن قراءة هذه الأربعة وراء الصلوات لها خصائص ومنافع كثيرة في الدنيا والآخرة ، كما وردت في ذلك الآثار المرفوعة والموقوفة بأسانيد متعددة .

واظب على صيغة : « لاَ إلـه إلاَّ الله المَلِـكُ الحَـقُّ المُبِـيْن » وراء صلاة الظهر فإنها من المهمات ، كما نبه عليه أهل المعرفة .

واظـب علـى صـيغة الصـلاة علـى الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسلم : (**اللهم** صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا محمد مفتاح خزائنك ، **اللهم** افـتح لي بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أغلق عليَّ ، **اللهم** صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسـلم تسـليماً) وراء كـلِّ صلاة ثلاثاً ، ولك أن تزيد ما شئتَ .

وصلى الله على سيدنا محمـد وعلـى آلـه وأصـحابه والتـابعين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وكان الفراغ من جمع هذا الكتاب يوم الخميس الثـامن مـن شـهر ذي الحجة سنة ١٣٩٠هـ .

* * *

المحتوى

الموضوع | الصفحة

وصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ
والحمدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * * *

كتب للمؤلف

* حول تفسير سورة الفاتحة ـ أم القرآن الكريم .
* حول تفسير سورة الحجرات .
* حول تفسير سورة قٓ .
* حول تفسير سورة الملك .
* حول تفسير سورة الإنسان .
* حول تفسير سورة العلق .
* حول تفسير سورة الكوثر .
* حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها .
* هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان .
* هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان .
* تلاوة القرآن المجيد : فضائلها ـ آدابها ـ خصائصها .
* شهادة لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ﷺ ـ فضائها ـ معانيها ـ مطالبها.
* سيدنا محمد رسول الله ﷺ : خصاله الحميدة ـ شمائله المجيدة .
* الهدي النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية .
* التقرب إلى الله تعالى : فضله ـ طريقه ـ مراتبه .
* الصلاة في الإسلام : منزلتها في الدين ـ فضائلها ـ آثارها ـ آدابها .
* الصلاة على النبي ﷺ : أحكامها ـ فضائلها ـ فوائدها .

* صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال .
* الدعاء : فضائله ـ آدابه ـ ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات .
* حول ترجمة الشيخ الإمام محمد نجيب سراج الدين الحسيني .
* الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها .
* الإيمان بالملائكة عليهم السلام ـ ومعه بحث حول عالم الجن .
* الأدعية والأذكار الواردة آناء الليل وأطراف النهار .
* شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .
* أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات .
* مناسك الحج ـ ومعه أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها .
* الصيام: آدابه ـ مطالبه ـ فوائده ـ فضائله .

* * * *

من آثار المؤلف رحمه الله

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم، الجزء الأول والثاني والثالث.
* دروس حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم .
* محاضرات حول الإسراء والمعراج.
* محاضرات حول هجرة سيدنا رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

* * * *

وكلها تطلب من مكتبة دار الفلاح حلب : أقيول

أمام جامع أسامة بن زيد هاتف :

٣٢٢٤٩٠٠ ـ ٣٢١٧٣٠٠